مراقيون

من زمن التتوهج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (3193) السنة الثانية عشرة

الخميس (16) تشرين الاول 2014

WWW. almadasupplements.com

4

جميل بشير.. الموسيقار الذي منح العود رقيا ومرتبة عالية

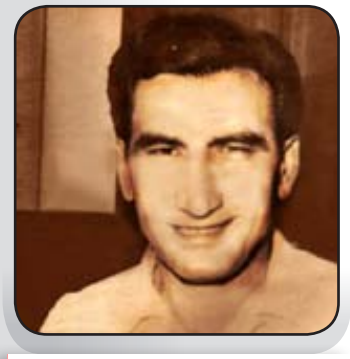

جميل بشير

عراقيون
من زمن التوهج

جميل بشير والريادة السريانية في الموسيقى العراقية

د. سعدي المالح
اديب واكاديمي راحل

تبوأت الموسيقى منزلة ذات شأن في المجتمع العراقي منذ العصور القديمة، ونظرا لأهميتها ودورها الفاعل في الشؤون الدينية والدنيوية للناس دخلت المعابد والقصور الملكية والكنائس وأصبحت ترافق الكثير من الطقوس اليومية. وحصل العراقيون على إرث موسيقي غني من قدمائهم في عصور مختلفة. ومع بداية النهضة المشرقية، تحديدا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، بدأوا بإحياء تراثهم الموسيقي من جهة والنهل من منابع التراث العالمي من جهة أخرى، فتمكنوا بذلك من أغناء ميراثهم الحضاري وخلق موسيقى عراقية معاصرة.

ولعب المسيحيون من الكلدان الآشوريين السريان دورا رياديا كبيرا وهاما في الفنون الموسيقية المختلفة في العراق المعاصر تواصلا لدورهم التاريخي المعروف في هذا الفن، ابتداء من سومر وبابل وآشور، ومرورا بالعصور الساسانية والإسلامية المتأخرة. لقد برع هؤلاء في صناعة الآلات الموسيقية، والعزف عليها، والتأليف الموسيقي، وتشكيل الفرق الموسيقية والغنائية وتطوير النظريات الموسيقية. وبرز بينهم ملحنون وعازفون وأساتذة موسيقى ومؤلفون موسيقيون يعدون روادا لهذا الفن، كان لهم شأن كبير في الحياة الفنية العراقية إلى جانب أقرانهم من القوميات والأديان الأخرى.

والجدير بالذكر أن معظم هؤلاء الرواد كانوا إما شمامسة في مختلف الكنائس المشرقية أو أولاد شمامسة أو درسوا الموسيقى وتعلموا العزف في صغرهم في المدارس المسيحية الخاصة التي كانت منتشرة في العراق في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. وكانت هذه المدارس إلى جانب مدارس اليهود كالاليانس وغيرها تقدم دروسا في العزف على مختلف الآلات الموسيقية والغناء والتأليف الموسيقي.

وكان للآباء الدومنيكان في الموصل دور ريادي بارز في ذلك، واليهم يعود الفضل في إدخال آلة الاورغن الكنسي ذي الأنابيب الهوائية الكبيرة إلى العراق، إضافة إلى آلات غربية أخرى مثل الآلات الهوائية : فلوت ، ترامبيت ، كلارنيت... الخ. كما قاموا بنشر التعليم الموسيقي في مدارسهم، وتشجيع الطلاب على ذلك، فأسسوا جوقات غنائية ، دينية ودنيوية، من طلاب هذه المدارس لتنشد في الحفلات التي تقيمها مدارسهم. إذ بلغ عدد المدارس التي كان الآباء الدومنيكان يديرونها في عام ١٩٠٠ نحو ٢٢ مدرسة في الموصل وضواحيها للأولاد والبنات ما عدا مدارس محو الأمية والمدارس الحرفية. كل هذه المنجزات أثرت، بصورة لا تقبل الشك، في تنمية الوعي الفني الموسيقي وتشجيعه في مختلف طبقات المجتمع. وهذا أدى إلى ظهور شخصيات موهوبة في الفن الموسيقي آنذاك أبرزها: اسكندر الزغبي(١٨٣٨-١٩١٢) الأعمى الذي أحب الموسيقى منذ يفاعته وبرع فيها وأصبح أستاذا للموسيقى في مدرسة الدومنيكان في الموصل، وقدم هذا الأستاذ الجليل أعمالا موسيقية عدة شملت أناشيد دينية ومسرحيات غنائية.

من جهة أخرى كان للألحان الكنسية القديمة لكنيسة المشرق بشقيها الغربي (السرياني) والشرقي (الكلداني الآشوري)، والتي تعود إلى القرون المسيحية الأولى، والمحفوظة في كتاب (كرّا- كنز الألحان) و(الأشحيم) وغيرها من كتب صلوات الفرض، وللآباء والشمامسة المرتلين، الذين حفظوا هذه الإلحان جيلا بعد جيل، تأثير كبير في ظهور المقامات العراقية وعدد من الألحان الأخرى إما على نحو مباشر عبر التراتيل والأناشيد والمزامير السريانية أو غير مباشر عبر الألحان الفارسية التركية.

ولا يخفى أن الكثير من مغني المقامات وعازفي الجالغي في القرن التاسع وبداية القرن العشرين كانوا إما من اليهود أو المسيحيين، فقد ورد ذكرهم في كتاب" المغنون العراقيون والمقام العراقي" للشيخ جلال الحنفي بينما أغفل الحاج محمد الرجب في كتابه " المقام العراقي" جميع الأسماء المسيحية واليهودية!

وفيما يلي نلقي الضوء على دور السريان الكلدان الآشوريين في الموسيقا العراقية المعاصرة (في القرن العشرين) مركزين فقط على بعض رموز هذا الفن من الذين أسهموا في نشأة الموسيقا العراقية المعاصرة وتطورها بشقيها العربي والكوردي من دون ذكر العشرات من الموسيقيين والمطربين الآخرين المختصين بالموسيقى السريانية أو غير البارزين على نطاق واسع على الساحة العراقية.

كان حنا عواد ١٨٦٢-١٩٤٢ (والد الأستاذين الشهيرين كوركيس وميخائيل عواد) واحدا من أعلام الموسيقى العراقية المعاصرة، ورائدا من رواد صناعة الآلات الموسيقية وتطويرها، " فقد أمضى معظم حياته في صنع الكثير من آلات الموسيقى الوترية الشرقية. وأول ما ابتدأ يصنعه منها الآلة المسماة في الموصل الجنبر، وهي ضرب صغير من الطنبور أو البزق. وكانت هذه الآلة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كثيرة الانتشار ودائمة الاستعمال في مدينة الموصل وما حولها من قرى"

ويتحدث أكثر من مصدر عن أن بشير القس عزيز(والد الفنانين جميل ومنير وفكري) كان من قدامى صانعي العود في الموصل وعازفا ماهرا وشماسا قديرا ملما بالألحان الكنسية ومرتلا

في كنيسة السريان الأرثذوكس في الموصل. لكن مع الأسف لم نتمكن من الحصول على معلومات كافية عنه.

ويعد أسكندر أنطون زغبي واحدا من أوائل الموسيقيين والمغنيين المسيحيين في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. ولد في الموصل عام ١٨٧٤من والدين أصلهما من حلب (سوريا). كان موسيقيا وزجالا موهوبا على الرغم من أميته وعماه بسبب إصابته بالجدري منذ طفولته. كان ينظم الزجل على السجية ويلحنه بنفسه، ثم يرسله غناء وإنشادا على الأسماع. ويقال أنه كان وحده بمثابة فرقة موسيقية، إذ كان يعزف على آلات موسيقية عدة في آن واحد، فينفخ بالمزمار ماسكا بها بيد، ويضرب على الصنج باليد الأخرى، ويضرب على الطبلة برجله. ولذلك أختير معلما للموسيقى في مدرسة الآباء الدومنيكان بالموصل لعدة سنوات حيث كان يدرب التلاميذ على مختلف الآلات، وخاصة الاورغن الذي يستخدم في التراتيل الكنسية. وينسب إليه تلحين جميع التراتيل المجموعة في كتاب(الكنارة الصهيونية لتسبيح العزة الإلهية) جمع المطران إقليمس يوسف داود زبوني، والمطبوع آنذاك في مطبعة الآباء الدومنيكان.

وقد تمتع اسكندر زغبي بقدرة فائقة على نظم الأغاني الزجلية وتلحينها وتأديتها فألف الكثير منها واشتهر بها في الموصل. ولا يزال الموصليون يرددون بعضها، ومنها: طاف البنا بالشط طاف، و بزّونتي بزّوني، وعَلْ جنجلي سكران وعقلو كري، والخفيسانة وببالي، وفنجاني، والولد المدلل وغيرها. والولد المدلل التي هي من تأليفه وألحانه غناها سعيد سحار لأول مرة في ١٢ شباط ١٩١٢ في مدرسة الآباء الدومنيكان بالموصل.

أما رائد العزف والتأليف الموسيقي في العراق منذ تأسيس الدولة العراقية فكان الفنان حنا بطرس (١٨٩٦-١٩٥٨) الذي اشتهر بتلحين الأناشيد المدرسية والوطنية.

ويعد سعيد شابو من رواد الرعيل الأول من الموسيقيين الكلدان السريان الآشوريين في العراق. كان له دوره الملحوظ في العزف والتلحين والتعليم الموسيقى سنوات طويلة امتدت من العشرينيات وحتى نهاية الستينيات.

وواصل جميل بشير(١٩٢١-١٩٧٧) لعب دوري حنا بطرس وسعيد شابو في الموسيقى العراقية وسار على نهجهما، بل وفاقهما شهرة وإنتاجا. وكان جميل بشير من عائلة فنية أيضا، إذ كان والده الشماس بشير القس عزيز من قدامى صانعي العود في الموصل وعازفا ماهرا وشماسا قديرا ملما بالألحان الكنسية ومرتلا في كنيسة السريان الأرثذوكس في الموصل. وبتأثير أجواء هذا البيت اتقن العزف على العود في وقت مبكر من حياته. التحق جميل بشير بمعهد الموسيقى في بغداد في السنة الأولى من افتتاحه عام ١٩٣٦ في فرعي العود والكمان في آن وبرز بهما بروزا بارعا جعله قبلة الاستماع ومحط اهتمام الاساتذة والطلاب على حد سواء.

فدرس العود على الأستاذ الكبير محي الدين حيدر والكمان على الموسيقار البروفيسور ساندو ألبو وتخرج عام ١٩٤٣ بدرجة امتياز وعين مساعدا للشريف محي الدين والأستاذ ساندو البو في آن واحد، ومن الجدير بالذكر كان الطالب الوحيد الذي تخرج بدرجة الامتياز في فرعي الموسيقى الشرقية والغربية.

وشرع أثناء دراسته وبعد تخرجه (وكان قد عين أيضا مراقبا للأناشيد والموسيقى في وزارة المعارف) بتأليف الأناشيد المدرسية والتدريس الموسيقي. ويتضمن كتابه "مجموعة الأناشيد المدرسية الحديثة " الذي جمع فيه أناشيده فيما بعد، ٤٦ نشيدا مدرسيا مع نوتاتها الموسيقية وهي من ألحانه.

لكن أهم عمل قام به جميل بشير كان تدوين المقامات العراقية ونشر عدد من المقدمات الموسيقية لبعضها في كتابه " العود وطريقة تدريسه" . كما دون موسيقى مقام الراست تدوينا كاملا من أوله إلى آخره بضمنها المقدمة الموسيقية والفواصل الموسيقية ، غير أنه لم ينشره في كتابه، وكان قد قدمه في إحدى حفلات معهد الفنون الجميلة في أواخر الخمسينيات.

وسجل العديد من المقامات مع أبرز المطربين العراقيين: محمد القبانجي ، ناظم الغزالي ، يوسف عمر، عبد الهادي البياتي ، عبد الرحمن خضر، زهور حسين وصديقة الملاية وغيرهم...هذا إلى جانب تسجيله العديد من المقامات العراقية على آلتي العود والكمان كموسيقى متفردة لتراثنا الغنائي. ومن أعماله الفنية الشهيرة أيضا إعادة توزيع الأغاني الشعبية العراقية وتسجيلها بصوت المطرب ناظم الغزالي الذي برز فيها وذاع صيته في البلدان العربية كافة.

وربما لا يعرف الكثير من العراقيين أن الأغاني المعروفة التي يطربون عليها كـ" على جسر المسيب سيبوني " و" كلي يا حلو" و" مروا بنا من تمشون" و" يا ابن الحمولة" و" خايف عليها" و" طالعة من بيت أبوها و" ما اريده الغلوبي" و " يا بنية ويا بنية" و" فوك النخل " وغيرها من الأغاني الشعبية التراثية أعدها إعدادا فنيا وموسيقيا وأشرف على تسجيلها جميل بشير.

وألف جميل بشير مجموعة من المقطوعات الموسيقية في صيغ الموسيقى التقليدية العربية ، ومجموعة من المؤلفات الموسيقية في صيغة الدراسات الأكاديمية ذات الأسلوب التقني الصعب الأداء الذي يتطلب المهارة الفنية العالية ، كما ألف عددا من المقطوعات الموسيقية ذات طابع طروب.

كان جميل بشير يلحن و يغني باللغة الكردية أيضا، ويقول معاصروه إنه كان مؤديا بارعا ولكنه فضل الاستمرار في العزف متخليا عن الغناء. من ناحية العزف رافق جميل بشير معظم مطربي العراق الكبار على آلة الكمان والعود. يقول عنه الباحث الفرنسي جان كلود شابرييه: " كان عازفا فذا ومدرسا عالي الكفاءة تتلمذ على يديه معظم الفنانين العراقيين المعاصرين وأفاد عازفو العود من تعليم منهجه شديد الشبه بمنهج الشريف محيي الدين حيدر(أستاذه) الذي يعد بمثابة وثيقة فريدة في الشرق."

وبرع جميل بشير في تدريس العود في معهد الفنون الجميلة ، في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، وتخرج على يديه عشرات الفنانين. ويعد كتابه " العود وطريقة تدريسه" الذي هو، عبارة عن خلاصة تجاربه في التدريس لعشرين عاما، واحدا من أهم المراجع لتدريس العود في العصر الحديث. والجدير بالذكر أن العديد من طلابه أصبحوا أساتذة للموسيقى العراقية من بعده أمثال غانم حداد و منير بشير و على الإمام و كذلك شعيب إبراهيم.ولجميل بشير أيضا مجموعة من القطع الموسيقية الأكاديمية المسجلة بعوده. وقد عزف وأقام كونسرتات في كل من القاهرة وبيروت وموسكو وباكو وباريس ومونت كارلو ولندن.كان نتاج جميل بشير الموسيقي غزيرا ومتنوعا وقيما باعتراف الجميع.

وفي الوقت نفسه كان لأخيه منير بشير(١٩٢٨-١٩٩٧) دوره الكبير في النشاط الموسيقي عزفا وتأليفا منذ أربعينيات وخمسينيات القرن العشرين، فقد ولد في الموصل وتأثر بوالده وبالمقتنيات الغنائية والموسيقية التي كانت بحوزته مستمعا إليها بشغف وإعجاب على جهاز الغرامافون. تعلم منير بشير العزف على العود وهو صغير، فكان موضع رعاية والده وأخيه جميل وإعجاب الكثيرين من أبناء مدينته.

درس العزف على العود بمعهد الفنون الجميلة في عام ١٩٣٩ على يد أستاذه محي الدين حيدر وأخذ عنه أساليبه التقنية المتقدمة في العزف وبعد تخرجه عام ١٩٤٦ مارس العمل الفني في إذاعة بغداد، وفي التلفزيون بعد تأسيسه عام ١٩٥٦عازفا ورئيسا لفرقته الموسيقية، ومن ثم رئيسا لقسم الموسيقى. كما مارس التدريس في معهد الفنون الجميلة، وأسس له فيما بعد معهدا خاصا باسم المعهد الأهلي للموسيقى، وانتخب رئيسا لجمعية الموسيقيين العراقيين.

واصل منير بشير دراسته للموسيقى في الخارج فاختار العلوم الموسيقية المقارنة في هنغاريا وحاز على درجة الدكتوراه. يقول عنه زميله باسم حنا بطرس:" لقد جاهد للخروج بالآلة الموسيقية العربية من محدودية استعمالاتها بشكل ثانوي في مصاحبة الغناء. مؤكداً قدراتها الواسعة غير المحدودة في الأداء والتعبير. انطلاقا من تطوير أسلوب التقسيم التقليدي إلى سياحة آفاقية من الإرتجالات الحرة المؤسسة على الانتقالات المقامية العربية، بعيداً عن التطريب المفتعل. فصار – بحق – صاحب مدرسة متفردة في هذا المجال، إقتدى بها العديد من معاهد الموسيقى في العالم العربي، وصار أسلوبه واضحاً في أداء معظم عازفي العود المحدثين العرب. إذ تحول أداؤه من شكل العزف المتوسّل للإعجاب، إلى منطلقات تأملية وجدانية، لكأنك داخلٌ صومعةً متعبد تستوجب الإنصات التام بكل خشوع." وتبوأ منير بشير مناصب عدة في العمل الموسيقي منها: مستشاراً فنياً في وزارة الثقافة والإعلام العراقية، ومديراً عاماً لدائرة الفنون الموسيقية فيها، ورئيساً للجنة الوطنية العراقية للموسيقى وأميناً عاماً للمجمع العربي للموسيقى بجامعة الدول العربية، ونائباً للرئيس في المجلس الدولي للموسيقى التابع لليونسكو، وعميداً فخريا لمعهد الموسيقى العربية في القاهرة، ومؤسساً لمهرجان بابل الدولي.وقدم منير بشير للموسيقى العراقية مقطوعات جميلة من العزف المنفرد على العود بعضها مستوحاة من التراث.

عن مقال الثقافة السيريانية في العراق
سبق ان نشر في موقع الحوار المتمدن

جميل بشير.. الموسيقار الذي منح العود رقيا ومرتبة عالية

عبد الجبار العتابي

اسم .. لاتغفله الذاكرة ، ولا يتجاوزه الانتباه ، بل ان القلب والاذن والروح يصغون اليه ، وهو يغمرهم بالعذوبة، انه الاسم المميز لموسيقار عراقي كبير ، نقش حروفه بماء الذهب على كتاب الزمن ، وترك اصابعه تموسق اوتار الحنين والشوق لترن في صميم غيوم الدهشة وتجعلها تنهمر متعة واحساسا بالجمال ، اسم .. وان كانت السنوات تركض فهو ثابت على صدرها ،لا تزحزحه عنها المتغيرات ولا طوارق الازمنة ، وتظل موسيقاه تعبق بأنغامها ، انه الموسيقار جميل بشير ، الموصلي المولد (عام ١٩٢١) والراحل في لندن عام ١٩٧٧ ،

وبين هذين التاريخين اللذين بينهما تمتد (٥٦) عاما ، تنم عن رحيل مبكر لمبدع مميز ، جميل بشير رسم لنفسه توهجات لايمكن لاحد ان لا يراها بأحساسه ومشاعره ، فقد كان (العود) أداته التي دون عليها ابداعاته ومنجزاته وسحر موهبته، دوّن عليها ما يجيش في صدره بعد ان يشعر انه يستحق ان يولد ليسمعه الناس ، فكان (احد اعمدة المدرسة البغدادية الحديثة للعود التي ارسى الشريف محيي الدين حيدر قواعدها في الثلاثينات ليكون احد ابرز ثلاثة عازفين على العود (جميل بشير –منير بشير– سلمان شكر).

خبر وفاته كان مفاجأة ونزل كالصدمة على قلوب عشاقه ومريديه واهل الغناء والموسيقى الذين يعرفون قيمة ما قدمه للاغنية العراقية ، نقلته وكالة الانباء الفرنسية وجعلت موج الاحزان يتلاطم ، فليس هنالك من لايعرف جميل بشير الفنان الذي امتلأت حياته بالموسيقى ، وصارت الانغام تحلق كالطيور من غرف قلبه وشرفات روحه ، واستطاع ان يبرع في ايصال الموسيقى الشرقية الى العالم ، وما زلت احتفظ بنسخة من مجلة (الاذاعة والتلفزيون) التي نعته بعنوان قالت فيه (رحل جميل بشير وهو يعزف من اجل بغداد).

جميل بشير الذي .. وان لم يغب عن الذاكرة ، الا انه غاب عن استذكار المؤسسات الثقافية ، لم يعد هنالك من يمر على ذكرى رحيله ، او يعطي لمقطوعاته الموسيقية فسحة على الشاشة او الاثير ، وهو رمز من رموز العراق الثقافية التي يفتخر بها.

وفي ذكرى رحيله الثلاثين .. لابد ان نستذكره ، نستذكر شيئا من مسيرة حياته التي نعرف منها انه ولد وترعرع في بيئة مفعمة بالفن ، فتعلم العزف على العود تأثرا بوالده الذي كان يعزف عليه ، ثم صار يغني ما يسمعه من الاسطوانات التي يقتنيها ابوه ، وهذه النشأة في بيت بشير تربى عليها ثلاثة من ابنائه (جميل ومنير وفكري) وكانوا بارعين في حب الموسيقى ،

ونقرأ في سيرته ايضا انه : (درس النوتة العربية مع احد اساتذة الموسيقى في الموصل ، وفي عام ١٩٣٧ سمعه وهو يعزف على العود في بغداد وزير المعارف ومدير المعارف آنذاك ، بدعوة من المرحوم حنا بطرس ، ثم عين بعدها في الاذاعة براتب قدره ستة دنانير ، بعد ذلك افتتح في بغداد معهد خاص للموسيقى كان مديره الاستاذ الشريف محي الدين حيدر وقد درس جميل في سنته الاولى على آلة الكمان وحصل على درجة امتياز ، لكنه احب العود واحب سماع صوته وهو يعزف من قبل استاذه الشريف محيي الدين ، ولم يخف رغبته بتعلم العزف على آلة العود فطلب الى استاذه ان يدرسه هذه الالة خاصة وان صوتها يدخل الى اعماقه واحاسيسه ، ورحب الشريف بفكرة جميل واخذ يدرسه العزف على العود وهكذا انتهت السنة السادسة وهو يدرس العود ، ثم عين مساعدا لاستاذه في المعهد الموسيقي وعازفا في الاذاعة ورئيسا لفرقة ثم رئيسا لقسم الموسيقى في الاذاعة ، وهو يعتبر اول عازف واول مؤسس لقسم الموسيقى في الاذاعة العراقية واول من اسس فرقة موسيقية للاطفال ، وبدأ جميل عام ١٩٥٢ بممارسة التدريس ، وقدم حفلات كثيرة للوفود التي كانت تزور العراق آنذاك حتى احيل على التقاعد عام ١٩٦٨ ،

وله كتاب مؤلف بجزءين يدرس في تركيا والقاهرة ، وله قيمة موسيقية عالية ، والكتاب عن اصول تعلم العزف على آلة العود عنوانه (العود وطريقة تدريسه) وكان الراحل يعبر عن حبه للآلة العود وبأنها لايمكن ان تنتهي ، الا انها بحاجة الى التطور باستمرار ، فكان اول من اسهم في تطويرها وذلك بأضافة وتر اضافي

لها ، وقد كان الراحل لايعتقد بوجود موسيقى شرقية وغربية ، بل كان يذكر (ان هناك موسيقى تنبع من الشرق فقط خاصة ما بين النهرين) ، وكان يردد دائما (ان الكثرة او القلة ليست مقياسا لنجاح فنان) ، وهو لذلك لم يقدم على تسجيل عمل فني ما لم يكن راضيا عنه تماما ، لذلك صرح في احدى المرات من عام ١٩٧١ بعد ان اتهمته مجلة (الاذاعة والتلفزيون) البغدادية بأنه لم يقدم شيئا للاغنية بأن لديه الحانا غنائية ولكنه بحاجة الى من يؤديها حتى يستطيع ان يعطيه اياها) .

هذا جزء بسيط من سيرة ثرية ورحلة فنية مفعمة ، ولكن يجب استطلاع رأي اهل الاختصاص في ما قدمه للموسيقى العربية وقيمتها الفنية .

يقول الناقد الموسيقي العروف عادل الهاشمي : جميل بشير احد تلاميذ العازف الكبير الشريف محيي الدين حيدر ، وهو يكاد يكون انبغ التلامذة من حيث قدراته الفنية ، وجميل بشير ايضا هو احد عازفي مدرسة العود التركية التي انشأها الشريف حيدر عندما جاء الى بغداد عام ١٩٣٦ حيث انشأ معهد الفنون الجميلة وصار الشريف حيدر اول مدير لهذا المعهد في بغداد ، وهذه المدرسة التركية تتلخص في ان العزف على العود هو محاولة لنقل التقنية العزفية الغربية الى آلة العود العربية ، وهذه المدرسة تحاول ان تعطي لهذه التقنية مساحة عزفية تغلب على الطابع التقليدي للعود العربي ، وهي بالمقابل تؤثر ان يكون للعود طريقته في التعبير ، بمعنى انها لاتعزف على الطريقة المصرية (٢-٣) بينما هي تؤثر العزف على الطريقة التركية (٧-٨) وهي طريقة فيها قدر من الحساب الرياضي ، تعزف بالطريقة المقلوبة وليست الاعتيادية المصرية ،

وعليه فهناك طريقتان للعزف : التركية والمصرية ، جميل بشير آثر الطريقة التركية وكان بارعا غاية البراعة في نقل افكار الشريف محيي الدين حيدر ، لكن جميل لم يستمر في الاتجاه تماما انما التفت الى الطريقة العربية في العزف على آلة العود حيث اخذ يعزف (المشارف والسماعيات واللونجات والتقاسيم والدولاب والتحميلة) وبذلك ضمن لنفسه قدرا من الارتباط بالروح العربية ،

واضاف الهاشمي : جميل بشير .. عازف كبير وله قطع موسيقية رائعة، كما انه عزف كل قطع الشريف حيدر كما عزف لكبار الموسيقيين العرب وفي طليعتهم : محمد عبد الوهاب والقصبجي وفريد الاطرش ورياض السنباطي ، الى جانب ذلك ان جميل بشير تولى الاشراف على استديو انشأه بنفسه فأخذ يسجل الفلكلور العراقي حيث قام بتنظيم هذا الفلكلور وتقديمه بأصوات فردية وجماعية عراقية ، الى جانب انه لحن الاناشيد والقطع الوطنية وتولى تقديم ناظم الغزالي مطرب العراق الكبير في انصع صورة موسيقية ، وايضا تولى تقديم الحان كبار الملحنين العراقيين من امثال يحيى حمدي ورضا علي وسمير بغدادي واحمد الخليل وناظم نعيم وعلاء كامل وسواهم .

واستطرد الهاشمي في حديثه قائلا : وتعتبر طريقة العزف عند جميل بشير هي الاقرب الى الوجدان العراقي عن غيره من العازفين الذين ينتمون الى مدرسته ، ولقد كتب (ميثود) (منهج للعود) يعتبر من ابرع ما كتب للعود ، ولقيمته الاساسية فهو يدرس في معاهد العراق كافة ، الى جانب انه اسهم بقدر وآخر في ترقية العود .. لماذا؟ ، لانه بالاصل هو عازف على آلة الكمان ، حيث نقل تقنية الكمان الى آلة العود .

اما الدكتور هيثم شعوبي فقال : يعد الموسيقار الكبير جميل بشير احد اعمدة الموسيقى العراقية وهو من اوائل تلاميذ الشريف محيي الدين حيدر مؤسس وعميد معهد الفنون الجميلة الى جانب اخيه الفنان منير بشير وسلمان شكر وغانم حداد وامين خاكي ، هؤلاء يعتبرون من التلامذة الذين ارسوا دعائم مدرسة العود العراقية ، وفي طلائع هؤلاء جميل بشير حيث استطاع ان يقدم لطلبة المعهد (ميثود) وبجزءين بطريقة التقنيات عن آلة العود وتطورها من خلال وضعه لمجموعة من المؤلفات الموسيقية استطاع بها ان يتقدم الى مرتبة عالية من التقنية حولها من آلة مصاحبة للغناء الى آلة تعبر عن نفسها من خلال التقنية العالية .

واضاف الدكتور هيثم : وجميل بشير يعد ايضا من الاوائل الذين لديهم استديو في بغداد في الستينيات ، وكان منافسا وحيدا للاذاعة والتلفزيون ، فالكثير من الاغاني التي لحنها ناظم نعيم لناظم الغزالي بالاضافة الى الاغاني التراثية القديمة قام بتوزيعها توزيعا جديدا ، كان التوزيع جديدا على الاغنية العراقية ولم يعرف عنها انها توزع ، ايضا ان جميل بشير معروف عالميا وفي تركيا التي هي بلد العود والموسيقى ، كما هو معروف في العالم الشرقي الى جانب اخيه منير بشير ، كما ان (ميثوده) الذي نقله حبيب ظاهر العباس من التركية الى العالمية يعد مرجعا اساسيا للكليات والمعاهد لما له من تقنية عالية ، كما ان جميل من اوائل الذين قاموا بتدريس العود في المعهد في اربعينيات القرن الماضي بعد الشريف حيدر بعد ان تفوق على دفعته .

الدكتور هيثم قال ايضا : من الطريف ان اذكر ان لجميل بشير معزوفة عنوانها (ليت لي جناح) الفها وطلب من الذين يستطيعون عزفها بتقنية عالية ان يعطيه جائزة ، في ذلك الوقت قال (٢٥) دينارا ، وكان يتحدى بها عازفي العود .

وقال المطرب جواد محسن : يتميز المنهج الموسيقي لدى جميل بشير بكونه تمثل الاساليب التي سبقته ، وهو اسلوب يبتعد عن اسلوب الاقتباس او المحاكاة الفجة ، اذ هو يتعامل مع المعطى المعرفي للافكار الموسيقية باعتباره تراكما وجدانيا ينحى باتجاه تشييد بنى معمارية تكون الهيمنة فيها لروح العازف التي تقوده الى ذرى اللامتوقع بموازاة قدرته على تطويع تقنيات العزف المبهر ، واضاف : ان جميل بشير هو الامتداد الزمني لمدرسة الشريف محيي الدين حيدر وهذا يعني ان المنجز الاول المكتمل والمفتوح على امكانيات الاضافة اللاحقة وجد في فكر جميل بشير ما يجعله اكثر قدرة على خلق توازنات وانشاءات جديدة اعطته صفة الديمومة ، اذ لولا هذا الفهم الجديد لكان لمنجز الشريف محيي الدين حيدر ان يبقى اسير شكلانية لا تلامس نبض الواقع الذي يلح على انتاج حاجات جديدة ، ومن الخصائص الكبرى في موسيقى جميل بشير انه لم يضح باللحظة الراهنة التجديدية لحساب تاريخ غير واضح المعالم، لقد استوعب جميل بشير المنجز الحديث من دون ان يفقد ملامح شخصيته بل على العكس كان ثمة حوار مستمر بين لحظتين زمنيتين استطاع بمهارة عالية ان يلجم تضادهما التاريخي .

واستطرد جواد قائلا : اذا كان عود زرياب يتميز بانه اخف وزنا من عود استاذه اسحاق الموصلي كما قيل لهارون الرشيد ، فان عود جميل بشير الذي اهداه له الشريف محيي الدين حيدر الذي صنعه (الاسطة) علي العواد كان غاية في الاتقان الامر الذي جعل من ادارة متحف اللوفر في فرنسا تطلب عرضه في احدى قاعاتها، الامر الذي رفضته عائلة جميل بشير التي ابدت رغبتها في عرضه في المتحف العراقي.

وفي الختام ثمة سؤال :

كيف يمكن لنا ان نحفظ ونحافظ على تراث كبار المبدعين واعادة نشره على الناس مجددا من اجل الفائدة والاستزادة بالمعرفة والمتعة ، متى يمكن للمؤسسات الفنية والثقافية ان تضع نصب اعينها الاهتمام بما قدمه الموسيقار جميل بشير كواحد من كبار الموسيقيين العراقيين المؤثرين، هل ثمة جواب ؟ !!.

عن موقع ايلاف

له كتاب مؤلف بجزءين يدرس في تركيا والقاهرة، وله قيمة موسيقية عالية، والكتاب عن اصول تعلم العزف على آلة العود عنوانه (العود وطريقة تدريسه) وكان الراحل يعبر عن حبه للآلة العود وبأنها لايمكن ان تنتهي ، الا انها بحاجة الى التطور باستمرار ، فكان اول من اسهم في تطويرها وذلك بأضافة وتر اضافي لها ، وقد كان الراحل لايعتقد بوجود موسيقى شرقية وغربية

جميل بشير في ذاكرة الموسيقى العراقية

نابليون اوديشو
باحث وناقد موسيقي

ولد الفنان جميل بشير عام ١٩٢١ في مدينة الموصل الحدباء. ومنذ طفولته وحتى وفاته في لندن في ٢٧ ايلول ١٩٧٧ ظلت الموسيقى بمثابة مبرر وجوده الاساسي. تتلمذ في البداية على يد والده الذي كان صانعاً ماهراً لآلة العود وعازفاً مبدعاً تعرفه الموصل التي كانت مركزاً رئيسياً للموسيقى في الشرق الاوسط. اذ كانت ساحة لقاء وتفاعل بين الموسيقى العراقية وتيارات واساليب الموسيقى التركية والعربية والكردية والايرانية. وعندما غادر جميل بشير مدينته للدراسة في بغداد كان قد غادرها عازفاً ماهراً اصلاً. لكن انتقاله الى العاصمة العراقية لعب دوراً حاسماً في تطوره الكبير اللاحق. فقد تعلم الكثير من الدراسة في معهد الفنون الجميلة ببغداد واستفاد بشكل واضح من استاذه الموسيقار الشريف محيي الدين حيدر مؤسس ومدير المعهد، وظل يحفظ له اعترافاً بالفضل حتى عندما اصبح جميل بشير الموسيقار العراقي الأكثر شهرة، وعبّر عن امتنانه هذا من خلال نشره عدة تآليف موسيقية مجهولة لاستاذه، الذي بلور لديه نزوع المغامرة مع الالحان الصعبة والحرص على ايلاء الجانب التقني والعلمي اهمية خاصة في العزف كما اخذ عنه ضرورة تدوين النوتات الموسيقية لكل ما يقع بين يديه من الحان تراثية اضافة الى الحانه المبتكرة. وكان هذا الجانب يقصى عادة من حساب الموسيقين العراقيين قبلئذ بسبب غرابته او صعوبته.

وفي معهد الفنون الجميلة ايضاً استفاد جميل بشير كثيراً من الموسيقار التركي الكبير مسعود جميل الذي عمل لزمن في المعهد رئيساً لفرع الموسيقى، وظل كتاب «سماعي هماوند» الذي ألفه مرجعاً ثميناً لجيل من الموسيقيين العراقيين. فقد درس جميل بشير ست سنوات في معهد الفنون الجميلة. إلا ان شهرته الموسيقية لم تنتظر تخرجه من المعهد انما ذاعت بين الناس وهو طالب بعد. ومن الطريف ان نشير هنا الى ما كتبه الشاعر السوري فخري البارودي عندما زار بغداد في ١٩٤٣ حيث يذكر بانه حضر امسية موسيقية تكريماً له اقامها طلاب معهد الفنون الجميلة ببغداد، وعندما سمع عزفهم اثار اعجابه بشكل خاص طالب في الصف السادس يدعى جميل بشير قدم معزوفة اسمها «سماعي ديوان» اثارت دهشته لجمالها وعمق ادائها الى درجة ان البارودي وقف بعد العزف وارتجل ابياتاً من الشعر تكريماً للطالب جاء في مطلعها:

جميل بشير انك سوف تغدو
بشير الانس بالفن الجميل
قليل في البلاد اذا عددنا
عباقرة الفنون بكل جيل

وبغض النظر عن بساطة هذا الشعر، فان ما توقعه البارودي حصل بالفعل. فبعد تخرجه من معهد الفنون الجميلة عمل جميل بشير مراقباً للأناشيد المدرسية في وزارة المعارف. وبصفته هذه قام بوضع عشرات الالحان المخصصة للاطفال والتلاميذ ما لبثت ان عممت على مدارس البلاد وانتشرت بسرعة لما تتميز به من اصالة موسيقية وروحية جديدة. وقد جمعها مع النوته فيما بعد ونشرها في كتاب بعنوان «مجموعة اناشيد المدرسة الحديثة»، صدر في ١٩٤٩ عن مطبعة التفيض ببغداد. بموازاة ذلك واصل جميل بشير التألق في العزف على العود والكمان (وعلى البيانو فيما بعد). وحينما جرى تأسيس الفرقة الموسيقية العراقية الجديدة في العام ١٩٤٨ اختير ليكون أهم عناصر هذه الفرقة التي ضمت ايضاً خضر الياس، عازف الناي الكبير، وعددا من العازفين الآخرين. وقد سمحت له تجربته الطويلة في الفرقة بتطوير مهارة الارتجال الموسيقي لديه واهلته للقيادة الموسيقية حيث كان يضطلع بنفسه بوضع نوتات الالحان التي تؤديها الفرقة ويحرص على تدريب زملائه على تنفيذها بدقة بعد ان كان يقوم بتحفيظها لمن لا يجيدون قراءة النوتة منهم، كما سمحت له بتعميق معرفته بالتراث الموسيقي العراقي ليصبح احد ابرز الذين ساهموا في حمايته من الضياع وتطويره، اذ قام بتدوين اصعب الالحان القديمة لاسيما في مجال المقامات، من بينها مقام الراست الذي دونه من اول الى آخره وقدمه لأول مرة انطلاقاً من النوتة المدونة في احدى حفلات معهد الفنون في اواخر الخمسينات.

كتب عدداً من البحوث والدراسات الموسيقية التطبيقية اشهرها كتاب بجزئين عنوانه «العود وطريقة تدريسه» نشره في عام ١٩٦١ وضمنه العديد من نوتات المقامات العراقية ولازال لحد الان من بين اهم المراجع في هذا الصدد. ولقد تفرغ جميل بشير في العقد الاخير من حياته الى الكتابة الموسيقية في بيته الذي حوله الى «ورشة عمل» لتسجيل الاغاني العراقية.

واخيراً فان هذه المقالة تظل بعيدة جداً من استيفاء جميل بشير حقّه. فهو يحتاج في الواقع الى دراسة اوسع بكثير وينبغي ان تركز على الجانب التقني في ابداعه وهو أمر لسنا في قدرة على تحقيقه في هذا المقال الذي هو مجرد تحية للفنان الكبير جميل بشير الذي حالفني الحظ السعيد مرة فقادني الى لقاء عابر معه عندما اصطحبنا لرؤيته الفنان العراقي الراحل مهند الانصاري وكان ذلك خلال زيارة قصيرة ووحيدة لنا الى الكويت في الايام الاخيرة من عام ١٩٧٠.

احد اعمدة المدرسة البغدادية الحديثة للعود

قحطان جاسم جواد

في ايلول من عام ١٩٧٧ رحل الموسيقار العراقي الكبير جميل بشير احد اعمدة المدرسة البغدادية الحديثة للعود التي ارسى الشريف محيي الدين حيدر قواعدها في الثلاثينات ليكون احد ابرز ثلاثة عازفين على العود (جميل بشير –منير بشير– سلمان شكر).

في هذا الموضوع نقرأ شيئا عن ذلك النغم العذب الجميل وذلك العالم الفسيح الذي يدعى جميل بشير.

ولد الموسيقار جميل بشير في مدينة الموصل عام ١٩٢١ من عائلة عراقية كان ابوه بشير عبدالعزيز موسيقياً الى جانب كونه صانعا ماهرا للعود في مدينة الحدباء تلك المدينة العريقة التي عرفت بالفن والادب منذ القدم، وقد تعلم عزف العود منذ صغره حيث كان والده يعزف على العود ويغني وهكذا غنى وترعرع في جو مشحون بالنغمات العذبة سواء تلك التي كان يشدو بها والده او فن المطربين والمطربات العرب الذين كان يسمعهم من الحاكي الذي كان والده يمتلكه ومعه عدد من الاسطوانات الموسيقية والغنائية.

درس النوته الموسيقية في الموصل ثم قدم الى بغداد عام ١٩٣٧ زار نادي المعلمين وكان الاستاذ حنا بطرس رئيسا له وسمعه وهو يعزف فاعجب به ودعا وزير المعارف انذاك ومدير المعارف ورئيس الفرقة الاذاعية الموسيقية ليعزف سماعي بشرف رست عاصم رست طاطيوس فعين في حينه في الاذاعة براتب قدره ستة دنانير وهو اول تلميذ في معهد الفنون الجميلة درس الكمان والعود في ذات الوقت وحصل فيهما على درجة امتياز.. اما كيف احب العود واصبح مقترنا بحياته فكان يقول:

كان ذلك منذ اليوم الذي استمعت فيه وكان هناك من يعزف في السماء لحظتها احسست في داخلي صلة وشيجة مع هذا الصوت وكان الصوت هو عود الشريف محي الدين حيدر وهو يدرس احد طلابه دخلت عليه وابديت رغبتي في دراسة العود واخذت الدرس الاول ثم اخذت دفتر احد الطلاب وعزفت عليه الى الدرس الاربعين وهكذا درست العود.

عزف مرة في الاذاعة وسمعه الشريف محي الدين حيدر فاهدى له عوده الخاص وعينه مساعدا له لتدريس الكمان وكذلك تعين في الاذاعة كعازف ورئيس فرقة وبعدها رئيس قسم الموسيقى في الاذاعة.

ترك المعهد وعين في مديرية معارف بغداد كمراقب ومفتش (موسيقى) للواء بغداد بعد ان غادر الشريف محي الدين حيدر العراق الى تركيا، في عام ١٩٥٢ عاد الى المعهد كرئيس لقسم الموسيقى، قدم حفلات كثيرة للوفود الاجنبية التي كانت تزور العراق الى ان احيل الى التقاعد عام ١٩٦٨ أي بعد (٢٥) عاما من التفرغ الفني لتدريس آلة العود والكمان، الف كتابا (العود وطريقة تدريسه) ويدرس حاليا في العراق وكذلك في بعض الدول ولهذا الكتاب قيمة موسيقية عالية وهو اصعب طريقة في الوطن العربي، قدم اعمالا موسيقية متعددة ومختلفة فقد الف اكثر من عشر قطع موسيقية سينمائية لمصلحة السينما والمسرح والتي تزيد على خمسة اعمال، كذلك اعمالا روائية للسينما والمسرح (السلاح الاسود على ثورة العشرين).

وجهت اليه دعوة لعمل كونسرت في قاعة السيد درويش لتقديم مؤلفاته في العود مع مشاركة الفرقة العربية، عزف في موسكو وباكو وباريس ومونت كارلو ولندن، كانت له ندوات ونشاطات ابرز فيها وجه العراق اعلاميا وخاصة وقت حرب تشرين، سجل في لندن للقسم العربي مؤلفات موسيقية... وكذلك في بيروت واعماله كثيرة يطول ذكرها.

يقول عنه الباحث الفرنسي جان كلود شابرييه:

(كان عازفا فذا ومدرسا عالي الكفاءة تتلمذ على يديه معظم الفنانين العراقيين المعاصرين وافاد عازفو العود من تعليماه منهجه شديد الشبه بمنهج الشريف محي الدين حيدر الذي يعد بمثابة وثيقة فريدة في الشرق. ويقول ايضا: كان يستطيع ان يجعل ادنى الناس يبكي او يفرح).

جميل بشير رائد الموسيقى العراقية الحديثة

مر الفن الموسيقي العراقي، منذ نحو ثلاثة عقود من الزمن، في واحدة من انضب المراحل التي عرفها في تاريخه الطويل على صعيد العطاء النوعي. وهذا الحال يعكس مفارقة مزدوجة، حيث اقترن حصوله بتزايد اهتمام الدولة بدعم الموسيقى بشكل لم يعرف من قبل عبر قيامها بانشاء المعاهد واستقدام بعض الخبراء الاجانب واغداق الاموال على بعض الانشطة والمؤسسات المعنية بهذا الفن الذي كان قد عرف، في النصف الثاني من الستينات تحديداً، نهوضاً واعدا واصيلا صنعه الفنانون انفسهم وبدون اي دعم من الدولة

د. حسين الهنداوي
باحث واكاديمي

وتجسد في ظهور حركة تجديد شبه شاملة تظافرت على خلقها جهود نخبة من الملحنين الشباب آنذاك (محمد جواد اموري، طالب القرغولي، كوكب حمزة، سامي كمال، كمال السيد والعديد غيرهم) والاصوات الحميمة (حسين نعمة، فاضل عواد، انوار عبد الوهاب، ياس خضر وسواهم) والنصوص الشعرية الشعبية الجميلة الجديدة (لا سيما قصائد الشاعر الكبير مظفر النواب ونصوص اخرى لعريان السيد خلف وزهير الدجيلي وطارق ياسين وزامل سعيد فتاح وابو ضاري وعلي الشيباني بين غيرهم..) وتلك التراثية المكتشفة من جديد وخاصة روائع الشاعر الحاج زاير في الابوذية والزهيري.

لكن تلك الحركة الفنية الموسيقية البديعة سرعان ما اجهضت حال وصول حزب البعث الى السلطة. فقد سارع الى تنفيذ سياسة جديدة وطفيلية سميت بسياسة «لامكان للحزن في عهد الثورة»، وهدفت منها السلطة البعثية الهجينة في الواقع الى فرض رقابتها على الفن الموسيقي، الوجداني في جوهره، لاستخدامه في استراتيجية احكام سيطرتها على المجتمع بعد ان سيطرت على اجهزة الدولة بدءا بأدواتها القمعية. وهذه السياسة التي ركزت على مصادرة اللحظات الحميمة للفرد العراقي، تدرجت من جهة التنفيذ على عدة مراحل. تمثلت الاولى في حظر بث الاغاني «الركيكة» بالفعل. تلى ذلك منع بث الاغاني ذات البعد النقدي كنصوص الفنان الكبير عزيز علي، وحتّى بعض افضل الاغاني الوجدانية التي قد توحي ببعد سياسي (كأغاني روحي، البنفسج، وسواهما من نصوص مظفر النواب..) ثم جاءت رحلة التركيز على امطار المشهد بالاناشيد الشعاراتية والاغاني التعبوية وتبعيث الاغنية عموماً وهي عملية بلغت اوجها، في مرحلة لاحقة، في ارغام الفنانين على تلحين الاغاني التي تجمّل فظاظة النظام وفجاجة قائده ورموزه.

وهكذا، عبر هذه المراحل وبفضل تواطؤ جماعات انتهازية تعاونت معها نجحت السلطة في احلال نفسها وبشكل مطلق وسيطاً ورقيباً وقيّماً اوحداً على الموسيقى العراقية التي دخلت منذ مطلع السبعينات في فترة مظلمة بكل معنى الكلمة. فقد تعرضت علاقة الفنان بالناس، التي هي منهله الاساسي في الابداع، الى نوع من القطيعة وبالتالي الى تدهور جمالية وخصب النتاج الموسيقي العراقي الذي تحول في قسمه الاعظم الى مجرد ملحق باعلام حكومي مبتذل وبليد باستثناء النتاجات النادرة لاولئك الذين اختاروا الانسحاب اضطراراً لحماية كرامتهم الفنية مع كل ما ينطوي عليه ذلك من الم صامت يشبه النزيف.

بمواجهة هذا الحال، كان طبيعياً ان تظل الموسيقى العراقية لفترة ما قبل انقلاب ١٩٦٨، حاضرة بقوة وبكل عبقها وحميمتها ملاذاً بالنسبة للروح العراقية الجريحة. ولقد عزز ذلك ان تلك الموسيقى كانت قد استفادت من عطاء ظل يتواصل لأكثر من نصف قرن دون قطيعة تقريباً، ومن تراكم لم يكف عن التطور النوعي بفضل المثابرة الطيبة لثلاثة اجيال من الموسيقيين، تشابكت في ما بينها، وقدمت لنا عدداً من الفنانين الخالدين ابرزهم صالح الكويتي من الجيل الاول ومحيي الدين حيدر من الجيل الثاني وجميل بشير من الجيل الاخير. لكن واذا كان الأولان قد نجحا فعلاً في بلورة اتجاه خاص بكل منهما، فان جميل بشير برز كوريث نموذجي الجدارة والوفاء من جهة وكمبدع اصيل من جهة اخرى. من هنا يأتي اجماع النقاد على اعتباره الممثل الاهم للموسيقى العراقية المعاصرة او في النصف الثاني القرن العشرين في الاقل، دون ان يعني هذا قطعاً نسيان الفنانين الاخرين الكبار الذين زامنوه وساهموا بشكل مستقل عنه في بناء مجد هذه الموسيقى ونذكر منهم بوجه خاص رضا علي وعباس جميل وعبد الوهاب بلال وروحي الخماش وسالم حسين وسلمان شكر..

ولد جميل بشير في عام ١٩٢١ في مدينة الموصل الحدباء. ومنذ طفولته وحتى وفاته في لندن في ٢٧ ايلول ١٩٧٧ ظلت الموسيقى بمثابة مبرر وجوده الاساسي. تتلمذ في البداية على يد والده الذي كان صانعاً ماهراً لآلة العود وعازفاً مبدعاً تعرفه الموصل التي كانت مركزاً رئيسياً للموسيقى في الشرق الاوسط. اذ كانت ساحة لقاء وتفاعل بين الموسيقى العراقية وتيارات واساليب الموسيقى التركية والعربية والكردية والايرانية. وعندما غادر جميل بشير مدينته للدراسة في بغداد كان قد غادرها عازفاً ماهراً اصلاً. لكن انتقاله الى العاصمة العراقية لعب دوراً حاسماً في تطوره الكبير اللاحق. فقد تعلم الكثير من الدراسة في معهد الفنون الجميلة ببغداد واستفاد بشكل واضح من استاذه الموسيقار الشريف محيي الدين حيدر مؤسس ومدير المعهد، وظل يحفظ له اعترافاً بالفضل حتى عندما اصبح جميل بشير الموسيقار العراقي الأكثر شهرة، وعبّر عن امتنانه هذا من خلال نشره عدة تآليف موسيقية مجهولة لاستاذه، الذي بلور لديه نزوع المغامرة مع الالحان الصعبة والحرص على ايلاء الجانب التقني والعلمي اهمية خاصة في العزف كما اخذ عنه ضرورة تدوين النوتات الموسيقية لكل ما يقع بين يديه من الحان تراثية اضافة الى الحانه المبتكرة. وكان هذا الجانب يقصى عادة من حساب الموسيقين العراقيين قبلئذ بسبب غرابته او صعوبته.

وفي معهد الفنون الجميلة ايضاً استفاد جميل بشير كثيراً من الموسيقار التركي الكبير مسعود جميل الذي عمل لزمن في المعهد رئيساً لفرع الموسيقى، وظل كتاب «سماعي هماوند» الذي ألفه مرجعاً ثميناً لجيل من الموسيقيين العراقيين. فقد درس جميل بشير ستة سنوات في معهد الفنون الجميلة. إلا ان شهرته الموسيقية لم تنتظر تخرجه من المعهد انما ذاعت بين الناس وهو

طالب بعد. ومن الطريف ان نشير هنا الى ما كتبه الشاعر السوري فخري البارودي عندما زار بغداد في ١٩٤٣ حيث يذكر بانه حضر امسية موسيقية تكريماً له اقامها طلاب معهد الفنون الجميلة ببغداد، وعندما سمع عزفهم اثار اعجابه بشكل خاص طالب في الصف السادس يدعى جميل بشير قدم معزوفة اسمها «سماعي ديوان» اثارت دهشته لجمالها وعمق ادائها الى درجة ان البارودي وقف بعد العزف وارتجل ابياتاً من الشعر تكريماً للطالب جاء في مطلعها:

جميل بشير انك سوف تغدو بشير
الانس بالفن الجميل
قليل في البلاد اذا عددنا عباقرة الفنون
بكل جيل

وبغض النظر عن بساطة هذا الشعر، فان ما توقعه البارودي حصل بالفعل. فبعد تخرجه من معهد الفنون الجميلة عمل جميل بشير مراقباً للأناشيد المدرسية في وزارة المعارف. وبصفته هذه قام بوضع عشرات الالحان المخصصة للاطفال والتلاميذ ما لبثت ان عممت على مدارس البلاد وانتشرت بسرعة لما تتميز به من اصالة موسيقية وروحية جديدة. وقد جمعها مع النوته فيما بعد ونشرها في كتاب بعنوان «مجموعة اناشيد المدرسة الحديثة»، صدر في ١٩٤٩ عن مطبعة التفيض ببغداد. بموازاة ذلك واصل جميل بشير التألق في العزف على العود والكمان (وعلى البيانو فيما بعد). وحينما جرى تأسيس الفرقة الموسيقية العراقية الجديدة في العام ١٩٤٨ اختير ليكون أهم عناصر هذه الفرقة التي ضمت ايضاً خضر الياس، عازف الناي الكبير، وعددا من العازفين الآخرين. وقد سمحت له تجربته الطويلة في الفرقة بتطوير مهارة الارتجال الموسيقي لديه واهلته للقيادة الموسيقية حيث كان يضطلع بنفسه بوضع نوتات الالحان التي تؤديها الفرقة ويحرص على تدريب زملائه على تنفيذها بدقة بعد ان كان يقوم بتحفيظها لمن لا يجيدون قراءة النوتة منهم، كما سمحت له بتعميق معرفته بالتراث الموسيقي العراقي ليصبح احد ابرز الذين ساهموا في حمايته من الضياع وتطويره، اذ قام بتدوين اصعب الالحان القديمة لاسيما في مجال المقامات، من بينها مقام الراست الذي دونه من اول الى آخره وقدمه لأول مرة انطلاقاً من النوتة المدونة في احدى حفلات معهد الفنون في اواخر الخمسينات.

ومن جانب آخر عمل جميل بشير على اضافة مقدمات موسيقية من تأليفه لعدد كبير من الاغاني الشعبية لتغدو اليوم جزءاً لا يتجزأ منها. كما رفد الموسيقى العراقية بعدد من الالحان الجديدة والمبتكرة والمحافظة في نفس الوقت على الطابع العراقي. والى جانب دوره في الفرقة وفي مجال الانتاج الموسيقي، عمل جميل بشير استاذاً للموسيقى، ولتدريس العود خاصة، في معهد الفنون الجميلة طوال فترة تجاوزت العشرين عاماً ساهم خلالها في تدريب وتكوين نخبة من الموسيقين الذين لمعوا فيما بعد. وكتب عدداً من البحوث والدراسات الموسيقية التطبيقية اشهرها كتاب بجزئين عنوانه «العود وطريقة تدريسه» نشره في عام ١٩٦١ وضمنه العديد من نوتات المقامات العراقية ولازال لحد الان من بين اهم المراجع في هذا الصدد. ولقد تفرغ جميل بشير في العقد الاخير من حياته الى الكتابة الموسيقية في بيته الذي حوله الى «ورشة عمل» لتسجيل الاغاني العراقية.

من كل ما تقدم نستطيع ربما تكوين فكرة وافية حول المكانة الرفيعة التي يستحقها جميل بشير في تاريخ تطور الموسيقى في العراق. ودون الادعاء باننا نعرف كل شيء عن هذا الموضوع سنحاول هنا الاشارة الى الميادين الرئيسية التي توزعت عليها هذه المساهمة حسب معرفتنا الخاصة.

١- تأليف موسيقى الاغاني التراثية:

لولا جميل بشير لما كان ناظم الغزالي ليستطيع تحقيق الشهرة الكبيرة التي نالها. هذا الرأي الذي يقول به البعض لم يقم دون اساس. فالمطرب الكبير ناظم الغزالي الذي ولد في بغداد عام ١٩٢٤ وتوفي فيها في ١٢-١٠-١٩٦٣، برز فعلاً بفضل تلك الالحان التراثية التي التقطها جميل بشير من افواه الناس وثابر على عزفها وتسجيلها بعد ان

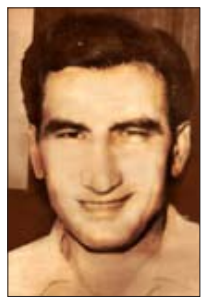

ولد جميل بشير في عام ١٩٢١ في مدينة الموصل الحدباء. ومنذ طفولته وحتى وفاته في لندن في ٢٧ ايلول ١٩٧٧ ظلت الموسيقى بمثابة مبرر وجوده الاساسي. تتلمذ في البداية على يد والده الذي كان صانعاً ماهراً لآلة العود وعازفاً مبدعاً تعرفه الموصل التي كانت مركزاً رئيسياً للموسيقى في الشرق الاوسط. اذ كانت ساحة لقاء وتفاعل بين الموسيقى العراقية وتيارات واساليب الموسيقى التركية والعربية والكردية والايرانية.

اعاد توزيعها توزيعاً موسيقياً جديداً ومتطوراً، اصبحت بفضله خالدة في العراق وخارجه. ولا يقتصر الامر على الالحان التي غناها ناظم الغزالي انما ايضا على الكثير من الالحان التي غناها غيره ايضاً وخصوصاً فرقة الانشاد العراقية في فترتها الخصبة التي عرفتها سنوات الخمسينات ومطلع الستينات. أما الألحان العراقية التراثية التي ساهم جميل بشير في إحيائها فمن بينها الأغاني التالية: اغنية «فوك النخل فوك»، اغنية «جواد جواد مسيبي»، اغنية «خابيف عليها تلفان بيها»، اغنية «يابنت عينج عليّه والله المحبة جلبيه»، اغنية «واشبان مني الذنب ياعيوني»، اغنية «مروا بنا من تمشون»، اغنية «كلي يا حلو منين الله جابك»، اغنية «يا ابن الحمولة عليّه اشبدلك»، اغنية «طالعة من بيت ابوها»، اغنية «ماريده الغلوبي وعيونه سود محبوبي»، اغنية «بالحاجب ادعي عليك»، اغنية «يابنية ويابنية»، اغنية «ياحنينة وياحنينة».

٢- تدوين وتسجيل موسيقى المقامات العراقية:

احتل تدوين وتسجيل موسيقى المقامات القديمة القسم الأهم من النشاط الذي كرسه جميل بشير للموسيقى العراقية. فقد اهتم من جهة، بصفته عازفاً، بمرافقة ابرز مطربي المقام العراقي اثناء التسجيل لهم كمحمد القبانجي ويوسف عمر وناظم الغزالي وعبد الرحمن خضر وعبد الهادي البياتي.. وكان هؤلاء يحرصون على وجوده معهم اثناء ذلك لمهارة ادائه وللرشاقة والسهولة التي يتميز بها اثناء التنقلات بما منها الاكثر صعوبة ودقة الى درجة كان المطرب يشعر بثقة عالية، ويغامر بتفجير طاقته الصوتية، عندما يكون جميل بشير الى جانبه. ومن جهة ثانية سجل هذا الفنان العديد من موسيقى المقامات العراقية على آلتي العود والكمان كمعزوفات منفردة وهي طريقة تميز بها في تجديد الموسيقى العراقية وحفظ تراثها في ذات الوقت. لكن عطاءه الاكبر والاكثر خلوداً هو تدوينه موسيقى المقامات بشكل مفصل وكامل احياناً ونشر مجموعة منها في الكتب التي اصدرها بينما ترك القسم الاخر على شكل مخطوطات. وابرز الأثار التي تركها في هذا المجال ما يلي: مقدمة موسيقية من نغم الحجاز، موسيقى مقام الحكيمي، موسيقى مقام البهيرزاوي، مقدمة موسيقية من نغم الخنبات، موسيقى مقام الخنبات، موسيقى مقام الاورفه (ديوان- حسيني)، مقدمة موسيقية من نغم الاوج، موسيقى مقام شرقي راست، مقدمة موسيقية من نغم الجهاركاه، موسيقى مقام المخالف، موسيقى مقام الحديدي، معزوفة موسيقية تتوسط مقام الصبا تبدأ بالصبا وتنتهي بالبيات، موسيقى مقام الطاهر، موسيقى مقام الجهاركاه، مقدمة موسيقية من نغم الاوشار، مقدمة موسيقية من نغم السيكاه، موسيقى مقام شرقي راست، مقدمة موسيقية من نغم الجهاركاه، موسيقى مقام المخالف، موسيقى مقام الحديدي، معزوفة موسيقية تتوسط مقام الصبا تبدأ بالصبا وتنتهي بالبيات، موسيقى مقام الطاهر، موسيقى مقام الجهاركاه، مقدمة موسيقية من نغم الاوشار، مقدمة موسيقية من نغم السيكاه، موسيقى مقام شرقي عشاق، موسيقى مقام الراست (مع مقدمة وفواصل كاملة).

٣- المؤلفات الموسيقية الكلاسيكية:

يقوم هذا الصنف من الانتاج الموسيقي على التأليف المحض دون الخروج من مقومات وقيم المقامات والانغام العراقية الكلاسيكية وتسمى هذه المؤلفات «سماعيّات» (مفردها سماعي) ويرجع تأسيسها الى الموسيقار الفيلسوف أبي نصر الفارابي. وهي من اصعب انواع التأليف الموسيقي وعصية جداً في الاداء لذلك فهي لم تزدهر شعبياً انما انحصر وجودها على كبار الموسيقين في الفترتين العباسية والعثمانية حافظوا عليها لتصلنا حتى الان. فعن الموسيقيين العثمانيين انتقلت من جديد الى سوريا والعراق. ويعتبر الموسيقار الحلبي السوري الكمنجاتي سامي افندي الشوا الذي عاش في اوائل القرن التاسع عشر اول من سجلها على اسطوانة في العصر الحديث وهي تعرف باسم اسطوانة «السماعي الثقيل العربي». وعلى اية حال لم تعرف الموسيقى العراقية الحديثة قبل جميل بشير سوى محيي الدين حيدر ممن اتجه للتأليف في هذا النوع من الموسيقى. اما اهم تأليفات جميل بشير فيه فهي: سماعي راست، سماعي نهاوند، سماعي ديوان (حسيني)، سماعي صبا، سماعي جهاركاه، سماعي يكاه..

ويضاف اليها نصان آخران يعرفان بـ «بشرف سيكاه» و «لونكا فراق». ومن الجدير هنا ان نشير الى ان هذه التأليفات تتميز بالتقنية العالية وصعوبة الاداء جداً وخصوصاً بالنسبة لـ«سماعي ديوان» حيث وضعه جميل بشير بكل اقسامه من مقام واحد احكمت سيطرته بكل اتقان (وهو مقام الحسيني) وهي مهمة صعبة ذلك لأن التأليف الموسيقي بمقام واحد وبصيغة السماعي تتطلب قدرة عالية على استيعاب المقام بكل ابعاده النغمية الدقيقة. وكذلك الامر بالنسبة لسماعي النهاوند الذي تتدخل فيه عدة مقامات إلا ان الطابع التقني الذي وضع فيه صعب الاداء الى درجة تقتضي مهارة هائلة لدى العازف.

واضافة لها، ألف جميل بشير مجموعة قطع موسيقية اعتيادية ذات طابع راقص من بينها ثلاثة تحمل اسماء ابناء الفنان وهي: «جنيد وشروق» (من مقام الراست)، و«رقصة جمانة» (من مقام النهاوند) و«هيرمان» (من مقام الراست).

٤- المؤلفات الموسيقية الاكاديمية:

هذا الصنف من المؤلفات يختلف عن سابقيه بالانطلاق من الخصائص الاكاديمية اساساً والالحان الاعتيادية ذات التقنية العالية المتحررة من مقومات موسيقى المقام. ولجميل بشير مجموعة مسجلة منها هي: «كابريس»، و«ملاعب النغم»، و«تأمل»، و«ذات الخال» (وتعزف بأصابع اليد اليمنى وبدون مضراب)، و«اندلس» (وتعرف ايضاً بأصابع اليد اليمنى وبدون مضراب)، و«فردوس»، و«سامبا حائر»، و«قطرات»، و«قيثارتي»، و«في الغروب»، و«همسات»، و«حيرة»...

٥- تدوين نوتات عدد من الأغاني الكردية:دوّن جميل بشير ايضاً نوتات عدد من الاغاني الكردية لاسيما تلك التي قدمها المطرب الكردي الكبير علي مردان، إلا اننا في الوقت الحاضر لا نمتلك تفاصيل وافية حول هذا الجانب.

واخيراً فان هذه المقالة تظل بعيدة جداً من استيفاء جميل بشير حقّه. فهو يحتاج في الواقع الى دراسة اوسع بكثير وينبغي ان تركز على الجانب التقني في ابداعه وهو أمر لسنا في قدرة على تحقيقه في هذا المقال الذي هو مجرد تحية للفنان الكبير جميل بشير الذي حالفني الحظ السعيد مرة فقادني الى لقاء عابر معه عندما اصطحبنا لرؤيته الفنان العراقي الراحل مهند الانصاري وكان ذلك خلال زيارة قصيرة ووحيدة لنا الى الكويت في الايام الاخيرة من عام ١٩٧٠.

بين جميل بشير وسعاد الهرمزي

ولد سعاد الهرمزي في العام ١٩٢٧ في مدينة كركوك.. واستهوته الموسيقى والغناء وهو في العاشرة من العمر.. لم يكمل دراسته العالية ولكنه تعلم كثيراً خارج نطاق الدراسة.. اهتم بترصين لغته العربية منذ الصغر وختم القرآن الكريم وهو في الثامنة من العمر..

دخل الإذاعة العراقية وعمره واحد وعشرون عاماً واستطاع أن يحتل مكانه في عربات الدرجة الاولى من قطارها المليء بالأصوات الرنانة وبقي محافظاً على هذا المقعد على الرغم من تقلب الظروف السياسية وأمزجة المسؤولين فيها حتى توفاه الله تعالى. دخل الإذاعة العراقية عام ١٩٤٨ ومن ذلك التاريخ أخذ يوالي نشاطه الإذاعي فكتب وقدم عشرات البرامج الاذاعية الناجحة.. ومن أهم برامجه الاذاعية الناجحة برنامج((الساعة ٩)) وبرنامج ((من الذاكرة)) في مستهل حياته عمل صحفياً. ورأس تحرير صحيفة اسبوعية وهو في العشرين من العمر ومارس النقد السينمي في عددٍ من الصحف والمجلات العراقية وهو أول ناقد سينمي في تأريخ الصحافة العراقية.. سجل لمعهد التدريب الاذاعي في القاهرة في العام ١٩٥٩ موضوعاً عن الصوت والالقاء فطبع هذا الموضوع واصبح مادة تُدرس في ذلك المعهد وصارت مادة دراسية فيه ضمن المواد المقررة من مؤلفاته.. محمد عبد الوهاب المزاوجة الماهرة بين القديم والحديث.. وأم كلثوم صوت الغناء التأريخي. وخواطر الأيام جزءين.. ونقطة حبر. وأربعة اجزاء من برنامج من الذاكرة واصوات لا تُنسى. وأوراق قديمة. لديه مكتبة عامرة تحتوي على اقدم المجلات الفنية والكتب الموسيقية عرضها للبيع في تسعينيات القرن الماضي لحاجته المادية.

وتوفي في ١٩٩٨ ...رحم الله سعاد الهرمزي الأنسان والصوت والمربي ذكريات عن الفنان الموسيقار جميل بشير .....

عندما التقيت به اخر مرة وهو ذاهب الى لندن لم يخطر ببالي انه لن يعود .... وقال لي ان غيبته لن تطول وسيعود الى بغداد سريعا لانه على موعد مع موسيقار ايطالي كان قد اتفق معه على صياغة معزوفة من نوع جديد تجمع بين سحر العود الشرقي والاوكورديون الغربي

وانه سيتقن عزفها في لندن .

دخل الإذاعة العراقية وعمره واحد وعشرون عاماً واستطاع أن يحتل مكانه في عربات الدرجة الاولى من قطارها المليء بالأصوات الرنانة وبقي محافظاً على هذا المقعد على الرغم من تقلب الظروف السياسية وأمزجة المسؤولين فيها حتى توفاه الله تعالى. دخل الإذاعة العراقية عام ١٩٤٨ ومن ذلك التاريخ أخذ يوالي نشاطه الإذاعي فكتب وقدم عشرات البرامج الاذاعية الناجحة..

كان عوده الطروب يتوسط صندوقه وهو يحمله بانتظار صعود الطائرة قرأت في عينيه فرحة غامرة لم اراها فيه من قبل ..فقلت له هل انت مهتم بهذه المعزوفه الى هذا الحد فقال انها تمثل قصة حياتي وعبرت عنها بالنغم وسيعزفها معي حوالي عشرون عازفا ولكن زميلي الايطالي مهم جدا ودور العود سيكون رئيسيا ثم يليه الاوكورديون في الاهمية .

قلت له يسعدني ان احضر التسجيل قال ستحضر وسترى اول عمل تعبيري حقيقي لي وذهب جميل بشير الى لندن ولم يعد من هناك ابدا ولم تسجل المعزوفة .....

عرفت جميل بشير قبل ٣٦ عاما وكان يقود فرقة الاذاعة الموسيقية وكان يعزف على الكمان وليس العود ولم اره يعزف على العود قط . ولكني فوجئت به مرة وانا ازوره في منزله وهو يحتضن العود ويعزف عليه انغاما كانت من الروعة والعذوبة والسلاسة بل البلاغة بحيث لم تزل في ذاكرتي الى اليوم ... كان يترنم بمعزوفة الشريف محي الدين حيدر الشهيرة ليت لي جناح ودهشت لعزفه الشجي وسألته هل تعلمت العود حديثا فاجاب اني اعزف العود منذ كنت طفلا ولكن لا يعرفوني غيرعازف كمان ان هوايتي هي العود اما الكمان فهو وسيلتي للعمل في فرقة الاذاعة الموسيقية .

قلت له يخيل لي انك تحب العود اكثر قال فعلا واني احاول ان اثبت اهمية العود في الموسيقى الشرقية وان اجعل دوره اكبر بالفرقة الموسيقية وان يثير اهتمام العالم كله .

ولم يمضي عامان على هذا الحديث حتى تفرغ جميل للعود وكان ابداعه وتفوقه في هذه الالة الشرقية مثار اهتمام العالم العربي والاوربي .

ان الطريقة الساحرة التي كان يعزف بها جميل بشير والتكنيك المتطور الذي استسقاه من استاذه الشريف محي الدين حيدر قد لفت انظار الموسيقيين اليه ولن ينسى دوره في نشر الموسيقى العراقية في الخارج ، وقد اسعدني يوما وانا في اسطنبول ان استمع الى معزوفته الشهيرة (شلالات) وهي تعزف في كازينو يطل على بحر مرمرة وعندما سألت احد اعضاء الفرقة الموسيقية التركية عن صاحب المقطوعة قال انها لاستاذنا العراقي جميل بشير.

لقد رحل جميل بشير مبكرا وذبلت اناملة الذهبية قبل الاوان ولكن عزائنا انه ترك لنا تراثا من الموسيقى والعزف سيبقى اثرا بارزا على ابداعه وموهبته وفنه الراقي .

مجلة (الاذاعة والتلفزيون سنة ١٩٧٧)

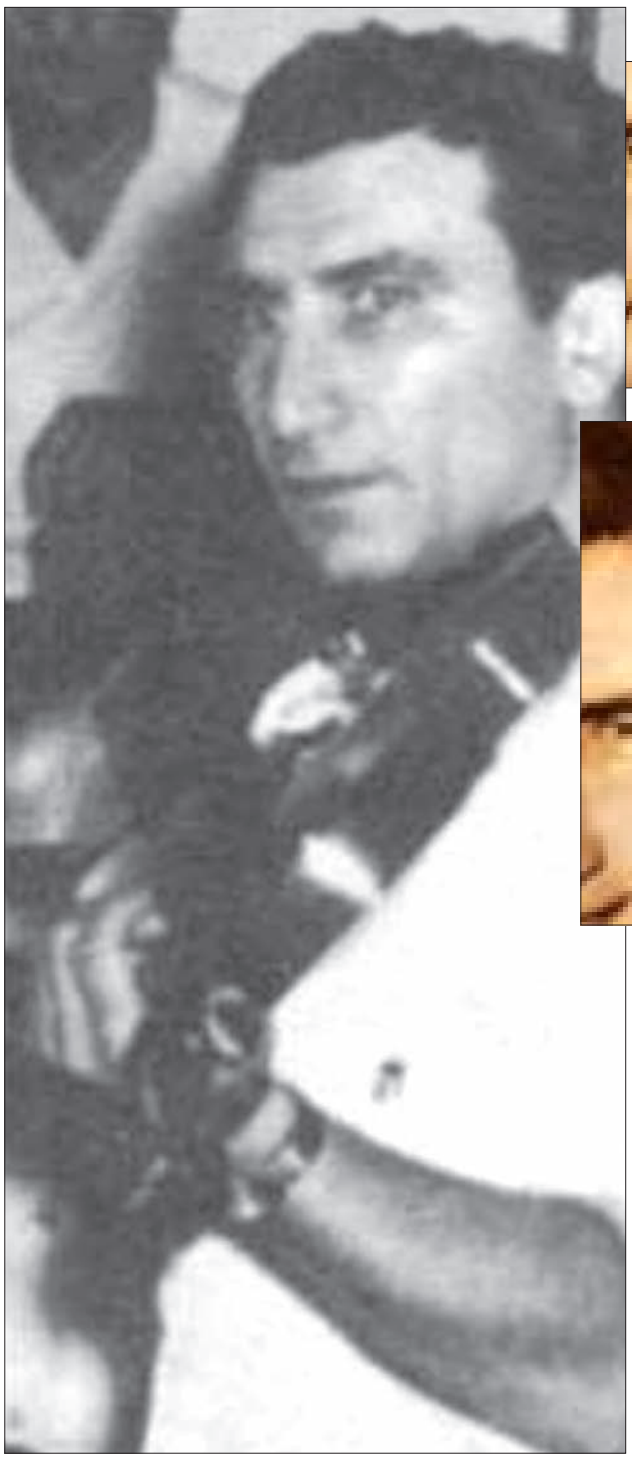

الموسيقار الكبير الاستاذ جميل بشير ومسيرته الفنية

سالم حسين الأمير
موسيقي وباحث

من الاساتذة المبدعين في المسيرة الموسيقية العراقية والذي ترك بصمات كثيرة وكبيرة فيها هو الاستاذ الراحل جميل بشير، الذي أحدث تطوراً جديداً في آلة العود عندما تفرغ للعزف على آلة العود بعد اعتزاله لآلة الكمان التي تبرع في العزف عليها في مجال المقام العراقي وألوانه والغناء الريفي وأطواره، فقد اتقن اللونين اتقاناً وحفظاً وعزفاً في هذين المجالين الرئيسين في الموسيقى العراقية ولم يكن من يجاريه فيها علاوة على دراسته وتعلمه من استاذة الكبير المستر "ساندو البو" الموسيقى الغربية والتوزيع الهارموني والمعزوفات الغربية لأشهر الموسيقيين العالميين مثل بتهوفن وموزارت وباخ وغيرهم.

كنت استمع له عندما ينسجم في آلة الكمان سواء كان في المعزوفات الغربية او الموسيقى العربية او العراقية حيث ارتبطت في العام ١٩٤٧ عندما رشحت محاضراً في الدورة الموسيقية في مدينة السليمانية صيف ذلك العام وكان يشاركني في ذلك الاستماع والانتماء الاستاذ الكبير غانم حداد الذي هو الاخر من اشهر عازفي العود الذي درسه على يد الاستاذ الموسيقار الشريف محي الدين حيدر وكذلك العزف على آلة الكمان،وكان مشاركا لنا في الدورة الصيفية في ألسليمانية كذلك مشاركتنا الثلاثة في العزف في الاذاعة الكردية وبروزنا في العزف على المقامات والغناء الكردي من اشهر المطربين الاكراد امثال الاستاذ علي مردان والأستاذ حسن جزراوي والمطرب طاهر توفيق ورسول عبد الله ورسول كردي وغيرهم من التركمان كذلك الاستاذ احمد كوزجي وغيرهم.

ولد الاستاذ جميل بشير في مدينة الموصل وكان والده السيد بشير عزيز من عازفي العود وصانعيه فتعلم العزف على العود والكمان وهو في طفولته على يد والده وحفظاً لكثير من الاسطوانات وجهاز الحاكي (فونغراف) الكرامفون الكثير من الموسيقى العربية كالسماعيات والبشارف واللونكات وغيرها من المعزوفات والأغاني، وعندما فتح معهد الموسيقى في بغداد وأصبح معهد الفنون الجميلة اخيراً كان من اوائل طلابه العام ١٩٣٦ وتتلمذ على يد الاستاذ الشريف محي الدين حيدر ولما اشتد عوده في آلة العود دخل دراسة آلة الكمان على يد الاستاذ "ساندو البو" فكان فارساً وعازفاً في هاتين الآلتين الجميلتين كذلك اتقن الوان المقام البغدادي والموصلي اتقاناً علمياً علاوة على الاستماع لعزف مع كبار المطربين أمثال الاستاذ الكبير محمد القبانجي وغيره من القراء الكبار وأتقن ايضاً الغناء الريفي والغناء البدوي بجميع اطواره وأشكاله.

شارك الاساتذة الاتراك الذين يحاضرون في معهد الفنون الجميلة كالأستاذ الموسيقار مسعود جميل والأستاذ جودت جاغلة وغيرهم من الاساتذة الاتراك الكبار، كذلك شارك في العزف مع زملائه الاستاذ غانم حداد وشقيقه الاستاذ منير بشير في عزفهم مع استاذهم الكبير الشريف محي الدين حيدر في احدى حفلات معهد الفنون الجميلة بحضور الملك والوصي ورئيس الوزراء والوزراء وكبار السياسة والشخصيات البارزة من الذين يحضرون حفلات معهد الفنون الجميلة انذاك سواء لأساتذة وطلبة معهد الفنون الجميلة البارزين والضيوف الذين يستضيفهم المعهد من العازفين العالمين او المطربين الكبار أمثال المطرب التركي الكبير أمين نور الدين والذي شاركت انا فيه على آلة القانون مع الاساتذة جميل بشير ومنير بشير وغانم حداد والحاج حسين عبد الله على الايقاع والأستاذ مسعود جميل على آلة الجلو.

كان الاستاذ جميل بشير مؤلفاً موسيقياً، وقد الف من السماعيات العديدة اهمها سماعي حجاز ديوان وسماعي رست واهم المعزوفات الموسيقية وأجملها معزوفة (شروق) ومعزوفة (جنيد)، تخرج على يده العديد من الطلبة الذين تولوا من بعده التدريس في معهد الفنون الجميلة، وكان رئيساً لفرقة الإذاعة العراقية، عمل استوديو خاص بتسجيل الاغاني العراقية لكبار المطربات والمطربين، وكنت انا عازفاً لآلة القانون مع هذه الفرقة التي يقودها بنفسه ويضع التوزيع الموسيقي والمقدمة، وقد وضع مقدمات موسيقية لتسجيلات اغاني المطرب الراحل ناظم الغزالي عندما سجل اغانيه لشركة جقماقجي.

توفي الفنان الكبير الاستاذ جميل بشير في لندن صيف عام ١٩٧٧، بعد ان ترك لنا ثروة كبيرة في الموسيقى لاسيما كتابه الكبير في دراسة لآلة العود بجزئيه الأول والثاني والذي يدرس في معهد الفنون الجميلة ومعهد الدراسات الموسيقية ومدرسة الموسيقى والباليه، وهكذا فقد العراق أهم رائد للموسيقى مع من رحل منهم رحمهم الله جميعا.

عن موقع الفنان سالم حسين

الموسيقار جميل بشير في دراسة نادرة:

فريد الاطرش حامل لواء الاغنية الشعبية العربية

محمود الاحمدية

الربيع اشتاق لفارسه، وعيد شم النسيم صامت ورحلت الحبيبة وانتظرها العاشق الولهان طيلة الفصول الاربعة ولم تعد ، سبعة وثلاثون عاماً والربيع صامت، والوردة بكت ذلك الذي زرعها بسمة ودمعة في قلوب وعيون ملايين العشاق.. وفي كل عام كان فريد وملايين العرب ينتظرون عودة الحبيبة في الربيع عبر اغنية ((الربيع)).. ومع بداية الربيع نتذكر الزمن الجميل حيث عبير الموسيقى الراقية والفن والابداع كان العنوان.. نتذكر ايام الشرق الموسيقي الجميل حيث كانت ((الاطـلال)) ، ((ليـالي الانس))، ((الجندول))، ((الربيع))، ((في يوم من الايـام))، ((عتـاب))، ((أخـذوا الريـح وأخـذوا الليل))، ((اوعـدك))، ((الـوداع))، على سبيل المثال لا الحصر، كانت تملأ سماء الشرق بشذى الالق والدهشة، ومرّ هذا الربيع وكانت اسعد لحظة تمر في حياتي هي دراسة اكاديمية علمية نادرة حصلت عليها وكنت ألتهم فيها النقطة والحرف والكلمة والجملة لعمق ما جاء فيها والتي تؤكد علمياً بأن الخالد فريد الاطرش كان الجسر الذي حمل الاغنية الشعبية وارتقى بها وخلّدها، وقيمة هذه الدراسة التي وضعها الموسيقار الكبير العراقي جميل بشير، انها شفافة ومنصفة لكل كبار ذلك الزمن مع التحليل الذي يجب ان يزيّن كل المكتبات الموسيقية العربية.. وحفاظاً على عذرية الكلام واهميته سأنقل حرفياً ما جاء في مقالته والتي من الحرام ألاّ نتركها لأجيال آتية.

يبدأ الموسيقار جميل بشير معرفاً الاغنية الشعبية: ((قالب فني له لازمة موسيقية في الغالب تكون واحدة ثم يعقبها المذهب الغنائي والغصن الأول وعـودة للمذهب. ثم الغصن الثاني وعودة للمذهب يصاغ المذهب عادة من مقام تكون الأغصان ايضاً من المقام نفسه ولضرورات التلوين اللحني يلجأ الملحن إلى تغيير مقامات الأغصان عن مقام المذهب الاصلي دون الخروج على القالبية المقامية للمذهب)).

ويتابع قائلاً: ((لا يمكن القول أن الأغنية الشعبية انطلقت من فريد الأطرش فلقد سبقه في هذا المضمار سيد درويش بتلاحينه الرائعة وعظمة الطاقة الإبداعية التي صاغ بها أغانيه الشعبية))، ويستطرد قائلاً: ((غير أنـه يمكن التحديد تماماً أن فريد الأطرش حقّق وحدة الانسجام النغمي العربي في الأغنية الشعبية عن طريق استخدام آفاق مقامية متنوعة لبيئات عربية متعددة))، ويتابع تحليله: ((ومن المؤكد أن فريد الأطرش استمدّ خلاصات تجاربه الفنية في الالحان الشعبية من محتوى روحي اعتماداً على طاقاته الداخلية فهي نتاج لمزاياه وسجاياه وتجاربه. والمخطط العضوي لفن الأطرش الشعبي يستمد أنـواره من التأمل الباطني الخازن لمعرفة عميقة بالأنغام العربية المتعددة مصرية، سورية، لبنانية، عراقية، سعودية، سودانية، تونسية، إلى آخره مع إضفاء طابع عصري يتآلف ايجابياً مع اتجاهات الأسماع الفنية، إذا ما وضعنا في حسابنا أن فريد الأطرش كان يجيد الغناء وفقاً للنص وهو عازف نادر على آلة العود وآلات عربية وأجنبية أخرى منها (البيانو) وهاضم كبير للأنغام البدوية والريفية ومستوعب للأصول المقامية العربية والشرقية وصاحب صوت رخيم ممتد ومتنوع في المسافات، له قدرة عميقة في مجال الإبحار الصوتي كما يتمتع بملكة عجيبة على الصعود والهبوط))، وبعد شمولي يؤكد الموسيقار بشير: ((على الرغم من أن لبنان وسوريا كانتا معقلاً للموسيقى الشعبية، إلاّ أن مصر نجحت في تحوير هذه الاهمية وجعلها تتّسم بالطابع المصري البالغ الشفافية، وهذا ما قام على جهود كبار من الملحنين، سيد درويش (طلعت يا محلا نورها، زوروني كل سنة مرة، الحلـوة دي قامت) زكريا احمد (يا صلاة الزين، غني لي شوي شوي، القطن) فريد الأطرش (أحبابنا يا عين، تطلع يا قمر بالّيل، ياللا توكلنا على الله، يابنت بلدي).

هؤلاء كرسوا جزءاً كبيراً من فنهم لهذا الجانب أكثر من غيرهم من الملحنين

الكبار الآخرين. منهم محمد عبد الوهاب (يالي زرعتوا البرتقال، هليت يا ربيع) فالموسيقار محمد عبدالوهاب بثقله الفني اللامحدود لم يعط للأغنية الشعبية من تجليات عبقرية مثلما أعطى لفنون الغناء الأخرى فعبد الوهاب لم يجد في الأغنية الشعبية ارضية حقيقية لانطلاق اهتماماته الرئيسة الواسعة في مجال التجديد الحي لملامح الفن الموسيقي العربي، بل هو حتى في كتابته لألحان الأغنية طلع علينا بمزج فني لخطوط لحنية متوازنة بين عمارة الفن القالبي للأغنية الشعبية وبين الطابع اللوني والميلودي لفن الطقطوقة الممتلىء الفياض فإن عبدالوهاب يريد لفنه كتابة موسيقية معقدة وبأنغام رحيبة وحوار مقامي أخّاذ ذي حدوسات لونية فسيحة، وتلك لا يوفرها فن الأغنية الشعبية لهذا لم يطل الوقوف عند هذا النوع من التأليف واتجه الى طريقه المعروف، أما الموسيقار رياض السنباطي، فإنه اكتفى بألحان محدودة في مجال الأغنية الشعبية لعل أبرزها ((على بلدي المحبوب ودّيني)) التي أدتّها سيدة الغناء العربي أم كلثوم، إذ اتجه السنباطي إلى تطوير القالب الفني للقصيدة الكلاسيكية ويأتي دور الموسيقار فريد الاطرش في تحليل د. بشير: ((من هنا يتضح عظم الدور الذي ألقي على عاتق فريد الأطرش، ويستطيع المتتبع الحاذق الملمّ بتفاصيل الاساليب الموسيقية العربية أن يكشف في موسيقى الاطرش جميع التغيرات التي طرأت على فن تلحين الأغنية الشعبية، فقد عرف هذا الفنان الكبير، كيف يوفق بين فن البيئات العربية المتنوعة في التصميم والإنشاء وميل الحسّ الشرقي الى الميلوديا، كما انه استطاع أن يقبض على خصائص التكوين الأسلوبي لقالب ((الموال)) ومزجه بطابع الأغنية كما في اغنية ((يا ديرتي ما لك علينا لوم)) التي أدتها أسمهان بسحر فيّاض وعبر الفترة التاريخية التي ملأها فن فريد الأطرش، فقد أنتج لنا هذا الموسيقار الكثير من الأغاني الشعبية، التي شغلت الناس وملأت حياتهم وقد ادخل الإيقاعات السريعة، الحادة والعنيفة في بعض الأحيان على الأغنية الشعبية مازجاً على نحو مبهر الانغام العربية مضيفاً عليها الطابع الفني لشخصيته، مانحاً اياها لونية جميلة من الوحدة الفنية ((ليه تشتكي أرضنا والنيل ساقيها، جبر الخواطر على الله، الحياة حلوة، هلّ هلال العيد، من الموسكي لسوق الحميدية، حبيبة أمها، يا دلع، تؤمر على الراس وعلى العين)) وكثير غيرها. والتي تحمل في خصائصها التطور التدريجي المشروع محافظاً على خاصّتين أساسيتين، نقاء الأسلوب، والجمع الصحيح بين الشكل الغربي والمضمون المحلي، حاول فريد الأطرش في الأغنية الشعبية أن يعتمد على الرحابة النغمية للمقام الأصلي الذي يلحن منه الاغنية وذلك بجمعها الفذ بين العذوبة اللامحدودة والتوقد الفياض الخازن للحدس الجمالي، عندما يطلق صوته العريض في موال يقطع به سير الأغنية الشعبية ليبلغ فيه جدية التأملات الوجدانية العميقة للاسماع، ثم يعود الى لحن الاغنية، اذ يختار لموالة مقاماً قريباً من المقام الأصلي. أما الإيقاعات المتنوعة التي استخدمها الأطرش لتآليفه اللحنية الشعبية فهي صورة للاستحداث الذي أراده لفن الاغنية الشعبية التي اكتست بهذه الإيقاعات بالروح الحية الطريقة المدهشة. ورغم أن هذه الإيقاعات كان بعضها غريباً، فإن هذا اللون الغربي لم يؤثر على عراقة الأصالة الشرقية للأغنية الشعبية.

ويمكن للاسماع أن تحس فعلاً في اغنية شعبية واحدة مثل ((يللا توكلنا على الله)) بالتناسق والتآلف والرشاقة في الذوق الفني والصقل النغمي البينوي مع الاجادة الفائقة في استخدام الالوان!! وفريد الاطرش اتجه الى مصادر متطوّرة وغنيّة من إيقاعات وقوالب موسيقية أوروبية، لم تكن متداولة بالمعنى المعرفي في الموسيقى العربية، فلم يهدف فريد الاطرش الى ادراج نغمة شعبية في أعماله الكلاسيكية الكبرى إلا تدعيماً لطرائقها التلحينية ذات الخصائص الفياضة بالتفرد، حيث أصبحت الكلمات والجمل تترجم الى الموسيقى ترجمة دقيقة اعتماداً على تأثيرات وإيقاع ((السيراند)) الجياش والعاطفي وبطريقة أصيلة وغنية بالتلوين والإلقاء والنبرة المعروفة ضمن القوالب الأوروبية التي أدرجها فريد الأطرش في مونولوج ((أفوت عليك بعد نص الليل)) مع خطوط زاخرة بالظلال اللحنية الرقيقة التي تتحلّق بفرادة تتعالى بموهبة أصيلة على مستوى الاقتباس والنقل إلى مستوى الخلق والمصانعة، ذلك أن دراسات فريد الاطرش الفنية في المعاهد الموسيقية الأجنبية خلقت عنده نزوعاً نحو هذه الموسيقى، كانت الدليل العظيم لتجاربه الناجحة والمؤثرة في أعماله الموسيقية التي ما زالت تحتل أسماعنا)).

ومن خلال ما تقدم تتضح عراقة الفهم العميق لدور الأنغام الشعبية في أعمال فريد الأطرش، التي توفرت على تحويلات شعبية سامية مع اتصافها بالنضارة والبهجة، فهو في هذا يمكننا الادعاء بأن أحداً من الفنانين الكبار لم يضاهه في لونه الشعبي، فإن الغنى النغمي والمقامي الذي يحتويه لم يجهر به كاملاً، اذ سد المرض عليه الكثير من مساعي موهبته الفنية، في حين أن فريد الأطرش أراد استجماع كل قدراته الفنية، غير أن ما تركه لنا يبقى شاهداً على ثراء الآفاق الروحية لهذا الفنان العظيم)).

من خلال هذه المقالة التاريخية ببعدها الفني احببت ان أسلط الضوء عليها انصافاً لذلك الذي ترك تراثاً عالمياً ضخماً يجب على الاجيال الجديدة ان تتعرف عليه، ومن خلال منتدى اصدقاء فريد الاطرش سنبقى على العهد عبر نشاطات قادمة تليق بالراحل الكبير.

عن موقع زرياب للموسيقى

أتقن العزف على آلتي العود والكمان

الموسيقي العراقي جميل بشير.. زرياب الثاني

أحمد مختار
موسيقي عراقي

ساهم تطور أسلوب العزف المنفرد على العود في العراق خلال الربع الأول من القرن الماضي، في تحسين نوعية الإنتاج وازدياد أهميته التقنية والروحية. وأثّر هذا الأسلوب في العالم العربي في ما بعد، حيث كانت لجميع مؤلفي تلك المرحلة وعازفيها، روح تأليفية ذات خصوصية أضافوا اليها ما ابتكروه من نمط تقني جديد ومتطور معتمدين على إرث العراق الموسيقي الذي يمتد الى سالف العصور ويمر بعصر زرياب العباسي الى اليوم، فابتكروا بذلك كتلة متحدة بين التأليف الروحي وتقنية الأداء، وبهذا وفروا على الذين أتوا بعدهم عناء البحث في هوية أعداد الأصابع والريشة والمراحل التفاعلية في العمل.

لكن بعضاً من هؤلاء مثل الموسيقي العراقي جميل بشير، كتب موسيقى كانت في غاية الجمال والتعقيد الأدائي، تتميز بمهارة عالية وفريدة في الأداء. في مقطوعته «كابريس» مثلاً، نلاحظ التداخل المعقد بين الأصوات العليا والسفلى، وتداخل الأشكال الإيقاعية في الريشة بطريقة تكمن فيها صعوبة الأداء الموزون بالسرعة المطلوبة. وكان بشير يذهب الى مواضع لم تكن مكتشفة في العزف على آلة العود من قبل مثل العزف في منتصف العود على الأوتار الحادة.

ولد الفنان جميل بشير في مدينة الموصل في العراق عام ١٩٢١، وتعلم العزف على العود منذ الصغر حيث كان والده عازفاً وصانعاً. وعند تأسيس المعهد الموسيقي في بغداد عام ١٩٣٦ كان جميل بشير ضمن الدورة الاولى حيث درس على يد الشريف محيي الدين حيدر مؤسس المعهد، وبات من طلابه المتميزين، كما تعلم العزف أيضاً على آلة الكمان على يد الأستاذ الروماني سانو ألبو لتصبح آلته الثانية.

ويذكر الدكتور والباحث الموسيقي نبيل اللو مايلي أن بشير عبّر مرة انه لا يعرف ما اذا كان توجهه الى الكمان الغربي رغبة عائلية في أن يكون من بينهم عازف فردي على آلة عالمية، ام أن الأمر كان مؤامرة ضده ليخلو الدرب أمام أخيه منير؟ بيد أن تعلم بشير العزف على آلة غربيّة مثل الكمان، أضاف إليه قدرة هارمونية سمعية وقدرة على عزف التآلفات الصوتية في آلة الكمان التي عكسها على العود في شكل ناجح في ما بعد. تميز بشير بخصوصية موسيقية يصعب ايجاد مثيل لها لدى الآخرين حيث عزف بتقنية أصابع وريشة لا يعرفها العود من قبل.

تخرج الفنان العراقي في فرع العود في المعهد الموسيقي عام ١٩٤٣ بدرجة ممتازة، وفي فرع الكمان عام ١٩٤٦ ودرّس العزف على آلة العود، وعمل أستاذاً مساعداً لآلة الكمان في الفترة ذاتها، كما شغل رئاسة قسم الإنشاد والموسيقى الصباحي والمسائي في المعهد. عبّر الشريف محيي حيدر عام ١٩٤١ عن تفضيله الواضح لأفضل طالب لديه لبراعته التي خرج بها بعد هذه التجربة مع الآلتين بأهدائه عوده الخاص وهي هدية ذات دلالات ومغزى، وتشير الى خلافة جميل بشير لأستاذه الشريف حيدر، وهذا شائع في الأعراف الموسيقية.

حاول بشير ان يدرس العلوم التي لم يتسن له الاطلاع عليها، فركز على المقام والإيقاعات العراقية، لذا لم نجد أي تأثيرات أو استيعاب للألوان الموسيقية العراقية الأخرى مثل الأطوار الريفية وأسلوب الأداء في التعازي والغناء البدوي. لكنه استطاع ان يقدم لوناً فنياً متميزاً معتمداً على المقامات العراقية وإيقاعاتها، مكتنزاً في تصوراته التأليفية الكثير من اسلوب استاذه الشريف حيدر ومتخلياً عن البعض منها كالتأثيرات التركية لإيجاد لهجة موسيقية عراقية مقامية صافية.

ويتضح هذا جلياً في مؤلفاته مثل «عيناك» و «ايام زمان» وتقاسيمه على المقامات العراقية والعربية مثل تقاسيم مقام «الامي» و «الاوشار» و «المخالف» و «الخنبات». تركز اسلوبه روحياً على ملامح المقامات العراقية وجذورها التقليدية، وتقنياً على الرشاقة والليونة في تقنية الأصابع والانتظام والدقة في الريشة المستوحاة من عمل القوس في آلة الكمان.

كما ان نقاوة العزف لديه في حال السرعة الفائقة لا تشكل إدغاماً في النغمات او تشويهاً للجملة الموسيقية، منتجاً بذلك براعة الإتقان الفني في التأليف الموسيقي الصعب المراس، اضافة الى احساس الجمل الموسيقية العميقة ورونق الذوق الموسيقي الروحي وسلامته، اذ حاول أن يجانس بين الروح والتقنية في شكل عال لم يصله بعده اي من عازفي المدرسة العراقية التي تعتبر الأهم بين مدارس العود في العالم، عدا منير بشير.

وعلى رغم ان المدرسة العراقية تستخدم تقنية التأليفات الصوتية (الاكوردات)، لكن الخبير في الموسيقى يجد ان تأليفات بشير هي من وحي أفكاره، والبعض منها كان يصعب على عازف غيره تطبيقها. توفي جميل بشير عام ١٩٧٧، قبل وفاة منير بشير بـ٢٠ سنة، تاركاً وراءه إرثاً موسيقياً مهماً وتجربة موسيقية عميقة.

أغنية مجهولة المؤلف والملحن تختصر معاناة العراق

سالم عبد الكريم
موسيقي عراقي

جميل بشير أرخ لحنين عراقي في"چيمالي والي"

"چيمالي والي" كعنوان، في رأيي تصلح أن تكون علامة تاريخية دالة لمعاناة العراق بأجمعه مختصرة هذه الثنائية العجيبة بين ثراء وإمكانات مادية وبشرية مهولة وواقع بائس منذ قرون.

وكأغنية هي واحدة من أوائل النماذج التي عرفتني على طبيعة وخصائص الغناء الفلكلوري العراقي، والواقع أن إسم "چيمالي والي" غريب وسيجد غير العراقيين صعوبة في فهمه، حيث يمكن أن يعني "لأنه ليس لي مُعينًا أو ناصِرا" والمعنى حزين ويتناسب للأسف مع بيئة الحُزن والحرمان التي تُمثل واقع العراق وظروفه على مدى التاريخ.

و"چيمالي والي" هي بالأساس أغنية فلكلورية عراقية من نغم النهاوند مجهولة المؤلف والملحن، وقد أخبرني صديقي ورفيق دراستي في بغداد الباحث الموسيقي سعدي حميد السعدي أن الأب أنستاس ماري الكرملي "١٨٦٦-١٩٤٧" يذكر في مخطوطة موجودة في بغداد بإسم "الأغنية البغدادية" أن والد المغنية العراقية سليمة مراد وكان عمرها آنذاك حوالي السنة سمع وهو يعبر معها نهر دجلة بواسطة "البَلَمْ" وهو وسيلة نقل نهرية مشهورة في العراق سائق البَلَمْ - ويسمى في العراق "البَلّام"- وهو يغني "چيمالي والي" وكان ذلك حوالي عام "١٩٠٥" ومنذ ذلك الحين أصبحت هذه الأغنية من العلامات الدالة على العراق وشعبه.

لا أستطيع أن أحدد متى إستمعت إلى "چيمالي والي" بوعي للمرة الأولى ولكنني متأكد أنني أحببتها وأنا في بطن أمي..! ومن ثم ربما أعدت إستذكارها وأنا إستمع إليها لاحقا وأنا في طريقي إلى مدرستي وبالتحديد من راديو المقهى المقابل لمدرستي "مدرسة الحارث الإبتدائية للبنين" في راغبة خاتون أو وأنا أستمع إليها من الراديو الصغير في بيت جدي حيث ولدت وعشت فترة من حياتي، ومن العجيب أنني وإلى الآن لازلت مشدودا لها بشكل لا أستطيع تفسيره.

ومن الناحية الموسيقية فإن أول ما شدني إليها هو أداء الفنان جميل بشير حيث كان يقدمها دائما بإعداد راقي وجميل جدا على العود المنفرد بطريقة رائعة وينسب له الفضل في شهرتها وتعريفها للعالم كموسيقى وإنشاء جيل مُحب لها، ولقد حوَلها الأستاذ جميل بشير من مجرد أغنية فلكلورية بسيطة إلى موسيقى خلابة وخاصة عندما سجلها مع ثلاثي من باراغواي على آلات ال□يتار والهارب وكان ذلك التسجيل يعرض بالأسود والأبيض من خلال تلفزيون بغداد وقد تأثرت به وبالطريقة التي يقدمها بها أيما تأثير.

وعند تقديمي لإمتحان القبول في معهد الدراسات النغمية العراقي كنا حوالي ألف ومائة متقدم وكان المطلوب قبول ٢٢ طالبا فقط. وفي المقابلة المباشرة سألني رئيس اللجنة إذا كنت أستطيع أن أقدم عزفا على العود "كنت قد كتبت في إستمارة التقديم أن لدي بعض المعلومات البسيطة للعزف على العود والنظريات الموسيقية وكنت قد تعرفت عليها بصورة أولية سابقا" وكنت قد حضّرت بشكل بدائي المقطع الأول لمقدمة "أمل حياتي" وهي من ألحان محمد عبد الوهاب وغناء أم كلثوم ولكني ما أن بدأت بالنوطات الأولى حتى صرخ بي رئيس اللجنة أنهم يريدون أن يستمعوا إلى موسيقى عراقية وهنا أُسقط في يدي حيث لم أكن أعرف شيئاً غير هذه المقدمة، ولازلت أذكر حرجي الشديد وارتباكي ولكني تذكرت أنني إطلعتُ على مدونة بسيطة لـ"چيمالي والي" كانت منشورة في كتاب للنظريات الموسيقية.

وبالفعل بدأت أعزف وبصعوبة المقطع الأول منها ومن ثم سألني رئيس اللجنة إذا كنت أستطيع تدوين ماعزفته ويبدو أنني نجحت في تدوينه وبالتالي في إمتحان القبول كله بدليل أن أسمي ظهر كأول إسم في قائمة المقبولين، وهكذا كانت "چيمالي والي" بمثابة جواز مرور لي وقبولي لدراسة الموسيقى دراسة أكاديمية.

وكانت هذه الأغنية أيضا كما أعدها الفنان جميل بشير هي أول موسيقى أؤديها منفردا على العود بعد إرتجال من نغم النهاوند وأنا طالب أمام الجمهور في قاعة الخلد مع زميلي فيصل عبد المنعم الذي رافقني على الرق.

ولقد ألفت لـ"چيمالي والي" عدة إعدادات أولها آلي "لأربع آلات عود" ونشرتها ضمن كتابي "دراسات لآلة العود" وآخر تأليف كان ضمن مشروع العود العالمي وكتبته للعود المنفرد مع الأوركسترا السمفوني وقد سجلته مع "SAKO" فلهارمونيك سيمفوني أوركسترا في أوربا وأيضا جعلت إسم الألبوم الثاني من هذه السلسلة "چيمالي والي".

وعندما بدأت التأليف لـ"چيمالي والي" للعود مع الأوركسترا لم يكن من الممكن بالنسبة لي تجاوز الظروف الصعبة التي يمر بها العراق حاليا، ومر بها في تاريخه برمته وأردت من خلال العود والأوركسترا أن أقدم لمحة موجزة عن ذلك في الوقت المتاح أمامي وهو عبارة عن دقائق معدودة ولذلك وعلى إيقاع المارش، بدأت بمقدمة حزينة وحماسية أردتها أن تعكس معنى "چيمالي والي" تبدأ خافته على آلات الفلوت والباسون ثم تتصاعد بدخول كل آلات الأوركسترا

بأقسامها الخشبية والنحاسية والإيقاعية والوترية.
ومن ثم يتم التمهيد لدخول العود المنفرد مع تحول إيقاع المارش إلى إيقاع "٦/٤" ويسمى بالمصطلح الموسيقي "سنكين سماعي" وهو الإيقاع الأصلي لهذه الاغنية، وبعد دخول العود المنفرد كتبت عدة تنويعات وإنتقالات لحنية بإيقاعات مختلفة لتعكس رؤيتي لها وماكنت أريد أن احكيه بواسطة الموسيقى.
وبعد... فإن "چيمالي والي" كألبوم وكموسيقى هي رسالة مني لكل الأماكن والذكريات والأصدقاء والأهل والعالم بأسره وإلى الأستاذ الفنان جميل بشير الذي عرّفني بها، وفي كل لحظة وأنا أؤلفها وأؤديها على العود ومع الأوركسترا كنت ولازلت أتذكر مشاهد من الحياة اليومية البسيطة في مسقط رأسي في بغداد وذلك الطريق في راغبة خاتون الذي لازلت أتمنى في يوم ما أن أسير عليه كما كنت وأنا ذاهب إلى مدرستي.
وإذا كنت بجسدي بعيدا عن بغداد بآلاف الكيلومترات فيكفي أن أغمض عيني لكي أرى نفسي وأنا ماشيا في شوارع راغبة خاتون وصوت يوسف عمر يأتيني عذبا منسابا بنبرة حزن عراقية شجيّة وهو يصدح بـ "چيمالي والي" ويُجيبهُ عود جميل بشير "بويه اسم الله"...!
ومن نغم النهاوند " نفس نغم چيمالي والي " أود أن تشاهدوا تسجيلا لي في كونسيرت حي في قاعة قصر الثقافة والفنون في بغداد عام "١٩٨٦" وهو لقطعة موسيقية من مؤلفاتي للعود المنفرد بعنوان " العيون الخضر".

جميل بشير 1921 – 1977

حسام الدين الأنصاري

ولد الفنان جميل بشير في مدينة الموصل سنة ١٩٢١، وقد تعلم العزف على آلة العود منذ صغره حيث كان والده يعزف على آلة العود الى جانب كونه صانعا لها. وعند تأسيس معهد الموسيقى سنة ١٩٣٦ كان الفنان جميل بشير ضمن الدورة الاولى، درس آلة العود على يد المعلم الكبير الشريف محي الدين حيدر وكان من المتميزين، وفي الوقت نفسه درس آلة الكمان على يد الموسيقار ساندو البو وكان متميزا في هذه الآلة ايضا.
تخرج عام ١٩٤٣ من فرع العود وعام ١٩٤٥ من فرع الكمان وبدرجة امتياز وتعين في المعهد سنة ١٩٤٣ مدرسا لآلة العود ومساعدا لتدريس الكمان وهو في الصفوف المنتهية حيث قام بتدريس الكمان الشرقي وقد شغل رئاسة قسم الموسيقى والانشاد الصباحي والمسائي بعد الفنان ساندو البو.
استمر الفنان جميل بشير في الدراسة ليصبح شخصية فنية تميزه عن غيره فتعلم العلوم الموسيقية التي لم تتوفر له في مدرسة استاذه الشريف محي الدين حيدر اذ درس التراث والمقامات والانغام الصولفيج والايقاعات العراقية والعربية وكانت حصيلة ذلك ان يظهر الفنان جميل بشير بلون فني متميز خاص به اصبح واضحا في مؤلفاته الموسيقية وتقاسيمه التي اعتمد فيها الانغام والايقاعات العراقية مكتنزا في خياله الكثير من روح مدرسة استاذه مما حقق للفنان جميل بشير شخصية موسيقية متميزة بل مدرسة انفرد بها، لها ملامحها العراقية الاصيلة وجذورها التقليدية التي احتوت التراث الموسيقي العربي موضحة بذلك براعة الاتقان الفني في التأليف الموسيقي الصعب المراس الذي امتلك ناصيته اضافة الى روعة الجمل الموسيقية ورونق التحلية وسلامة الذوق الموسيقي.
تميز الفنان جميل بشير بموسيقى ذات ملامح عراقية اصيلة حيث كان كثير العطاء فهو الفنان المثقف والمعلم البارع والمؤلف الماهر المتقن والعازف الفذ على آلتي العود والكمان.
لقد كان للفنان جميل بشير باع طويل في الموسيقى التراثية، فقد دون المقامات العراقية وكتب العديد من المقدمات الموسيقية لبعض منها، كما عمل على تسجيل عدد منها وكذلك الاغاني العراقية القديمة.
مرت السنين والفنان جميل بشير يمارس النشاطات الموسيقية المختلفة سواء على صعيد التدريس او التأليف حيث انجز عام ١٩٦١ كتابه الموسوم (العود وطريقة تدريسه) بجزئين والذي اعتمدته المدارس الموسيقية منهجا لها في تعليم آلة العود، كما عمل في وزارة التربية – النشاط التدريسي – ولحن العديد من الاناشيد المدرسية وعمل في مجال الاذاعة والتلفزيون كرئيس للفرقة الموسيقية ورئيسا لقسم الموسيقي، وقد قام بجولات فنية عديدة سجل خلالها العديد من مؤلفاته لعدة اذاعات عربية واجنبية.
وهناك ناحية مهمة في حياة الفنان جميل بشير إذ انه يمتلك صوتا جميلا، حيث كان يؤدي الاغاني العراقية القديمة بشكل خاص. ولكنه لم يندفع الى هذا المضمار بسبب طموحه العالي في الابداع الموسيقي.
وليس من شك ان الاستاذ الفنان جميل بشير كان واحدا ممن اسهموا بالعمل الموسيقي الجاد وبكل اخلاص وعن صدق ومعرفة وفن في بناء نهضة موسيقية صنعت للاجيال المتعاقبة مجدا موسيقيا لن ينسى.
ومما يذكر انه كان مصابا بالروماتيزم في طفولته ولعدة سنوات ولكن هذا لم يبعده عن فنه فاستمر بالعمل والابداع رغم سوء حالته الصحية.
للفنان جميل بشير مؤلفات عديدة – بشرف سيكاه – سماعي ديوان – سماعي صبا لسماعي بكاه كابريس – ذات الخلخال – اندلس – سامب حائر – قيثارتي – همسات لسماعي راست – سماعي نهاوند – لونكه فراق – ملاعب النغم – تأمل – فردوس – قطرات – في الغروب – حيرة – رقصة جمانة – عيناك – مرح الشباب – شروق – موسيقى شارده – ايام زمان – صدفة – بداية حب. رحل الفنان جميل بشير في ٢٧/ ٩/ ١٩٧٧.

عن كتاب (تاريخ الفرقة السمفونية الوطنية)

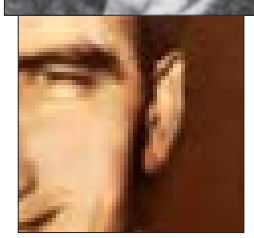

عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم
رئيس التحرير التنفيذي
عدنان حسين
نائب رئيس التحرير: علي حسين
الاخراج الفني: نصير سليم
طبعت بمطابع مؤسسة
المدى
للإعلام والثقافة والفنون
WWW. almadasupplements.com

جميل بشير.. نغم عراقي

عبد الوهاب الشيخلي
باحث موسيقي راحل

في جلسة بمعهد الفنون الجميلة اسمعني الفنان جميل بشير عدة قطع موسيقية من تاليفة و منها كلاويش .. مقطوعة موسيقية و هي اسم نجمة تسطع في شهر رمضان . عبر عنها جميل بعوده فاجاد و نجح نجاحا عظيما.

اندلس و هي مقطوعة موسيقية اعتمد في تاليفها على ذوقه و براعته في العزف على العود بالاصابع العشرة دون الاستعانة بالريشة الخاصة بالعود.

قيثارتي.. سار فيها على منوال الموسيقى التي تؤدى على كيتار جزر الهاواي.

و انتهت الجلسة بائيستود خاص بالة العود . اعتمد فيه على التقنية العالية في العزف. ان هذه المقطوعات تمثل نخبة من مؤلفات الفنان الراحل جميل بشير الذي يعد من افضل تلاميذ الموسيقار العربي النابغة مؤسس معهد الفنون الجميلة ببغداد الشريف محي الدين حيدر. و في عام ١٩٥٤ بدا الفنان الراحل جميل بشير في وضع و تنفيذ اغان رائعة للفنان الراحل ناظم الغزالي و اصبح اسمه على كل لسان في الوطن العربي. لقد لاحظنا ان اغنية فوق النخل فوق مثلا قد احيطت باطار موسيقي و ايقاعي جديد. و كانت هناك الات موسيقية اوربية قد ساهمت في اداء تلك الاغنية الى جانب الالات الموسيقية العربية المعروفة، و كان الانسجام في الاداء رائعا و متقنا.

ان جميل بشير من خلال تلك الاسطوانات لناظم الغزالي قد استطاع ان يضرب لنا مثلا جديدا و رائعا دون اية ضجة مفتعلة، فهو بالاضافة الى تاليفاته الموسيقية الكثيرة و المتعددة للعود و الكمان و الفرق الموسيقية المتطورة و تقديمه للمقام العراقي باسلوب جديد و متطور.

ان الدور الذي قام به الفنان الراحل جميل بشير سوف ينبه الاذهان الى اهمية تطعم اغانينا بروح جديدة تنسجم مع روح العصر و ربما ادت اذاعة هذه الالوان الموسيقية و الغنائية الى خلق حركة موسيقية غنائية شاملة نحن في امس الحاجة اليها، لهذا فعلى اثر سماعي للاغاني التي سجلها المطرب الراحل ناظم الغزالي لحساب شركة جقماقجي عام ١٩٥٤ باشراف الفنان الراحل جميل بشير. اتصل بي تلفونيا و طلب مني ان ابدي له رايي في تلك الاغاني.. و لما باركت له تلك الخطوة الفنية الرائعة اكد لي ناظم الغزالي ... انه سوف يواصل المسيرة في مجال تطوير الاغنية العراقية دون التعرض بالمقام العراقي الذي يجب ان يبقى على حاله باعتباره فنا غنائيا متوارثا يحمل في ثناياه رائحة و نكهة الماضي و حضارة وادي الرافدين.

عن مجلة فنون ١٩٨٤

عراقيون من زمن التوهج